

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة



كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي:/2019.

رقم التسجيل: 1433061827

الوالي مدحت باشا ونشاطه في الدولة العثمانية بين العمالة والإخلاص (1822م - 1884م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر.

اعداد الطالبة:

• سليمان إيمان

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
		رئيسا
بن قبي عيسى	أستاذ محاضر – أ-	مشرفا ومقررا
		ممتحنا

السنة الجامعية: 1439-1440هـ / 2018-2019م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة



كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي: 2019/.....

رقم التسجيل: 1433061827

مدحت باشا ونشاطه في الدولة العثمانية بين العمالة والإخلاص (1822م-1883م)

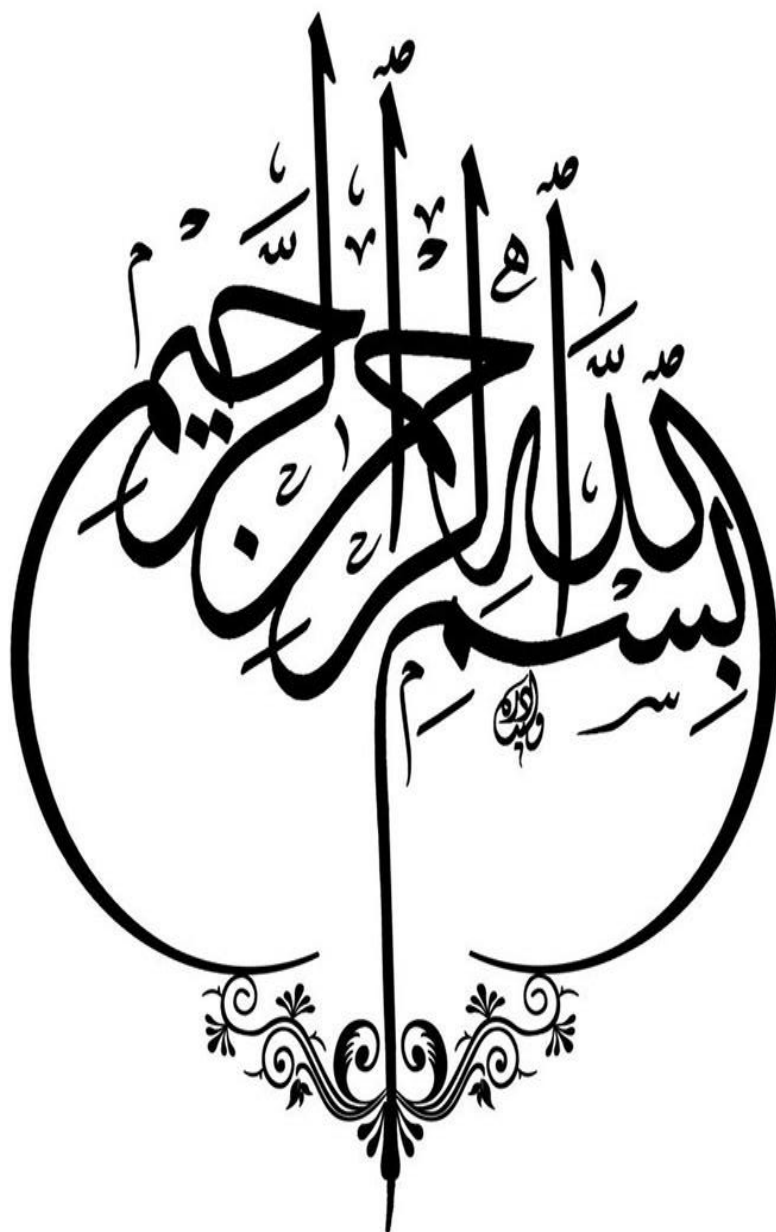
مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر.

اعداد الطالبة:

• سليمان إيمان

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
		رئيسا
بن قبي عيسى	أستاذ محاضر – أ-	مشرفا ومقررا
		ممتحنا

السنة الجامعية: 1439-1440هـ / 2018-2019م



أهدي

أهدي ثمرة جهدي:

إلى من ميزه الله بالهيبة و الوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار
إلى من أحمل اسمه بكل افتخار وإلى من دفعني إلى طريق العلم بكل
عزيمة واصرار "والدي العزيز".

إلى ملاكي في الحياة إلى منبع الحنان وإلى من كان دعاؤها سر نجاحي
وحنانها بلسم جراحي "أمي الغالية".

إلى إخوتي الأعزاء خولة، وأيمن، وأخي الصغير عبد المؤمن

إلى رفيق حياتي زوجي الغالي "سيف الدين" وأسرته الكريمة

إلى رفيقات دربي ومصدر سعادتي صديقاتي سميرة، قمر، سارة، ورحمة،
دنيا، نؤارة .

*شكر وعرفان

احمد الله عز وجل كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، عدد خلقه
وزن عرشه ومداد كلماته على إتمامي لهذا العمل المتواضع.

والسلام على سيد المرسلين، سيد الخلق أجمعين محمد عليه أفضل
الصلاة والتسليم.

من باب الاحترام والتقدير وبأسمى عبارات الامتتان، أتقدم بشكري لمن
تفضل بقبوله الإشراف على هذه المذكرة الأستاذ الكريم " عيسى بن قبي " الذي
كان سندا لي بتوصياته وإرشاداته، وأسأل الله أن يجازيه خير جزاء.

وأنتقدم بالشكر الخاص إلى اللجنة العلمية التي سهرت على مراجعة
وتقصي جوانب هذه المذكرة.

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر أيضا لكل من ساعد راشدي وأخيه
سامي اللذان يرجع لهما الفضل في كتابة هذه المذكرة.

والى كل من ساهم في انجاز هذا البحث من قريب أو بعيد.

- قائمة المختصرات:

مج	مجلد
ع	العدد
ط	طبعة
تلا	ترجمة
تحر	تحرير
د ت	دون تاريخ
د ط	دون طبعة
ج	الجزء
د م ن	دون مكان نشر
د د ن	دون دار نشر
ص	صفحة
مر	مراجعة
تع	تعريب
هـ	هجري
م	الميلادي
ص ص	صفحات



مقدمة



مقدمة:

شهد التاريخ العثماني الذي دام فترة تزيد عن ستة قرون، بروز العديد من الشخصيات التي تركت بصمات واضحة على سير الأحداث في الدولة، فكتب عنها المؤرخون الكثير، من بين هذه الشخصيات نجد مدحت باشا هذا الرجل الذي كان له دور فعال في صياغة الإدارة العثمانية من خلال مناصبه التي تقلدها كصدر أعظم أو كوالي على العديد من إيالات الدولة العثمانية ،و قد ترك هذا الأخير العديد من الإنجازات والآثار التي كانت محل نقاش و جدل بين المؤرخين فقد اختلف حول أهداف هذه الإنجازات وماهيتها و لصالح من كانت.

❖ أهمية الموضوع:

- تكشف هذه الدراسة عن دور الوزراء وكبار الإداريين في توجيه السياسة العثمانية خاصة في مراحل ضعفها.
- توضيح ماهية الإصلاحات التي جاء بها مدحت باشا، هل جاءت هذه الإصلاحات من أجل النهوض بالدولة العثمانية وتطويرها أم خدمة للإملاءات الغربية .
- تكشف هذه الدراسة أيضا عن حقيقة شخصية مدحت باشا ولأهداف الكامنة وراء نشاطه السياسي .

أما عن الدوافع التي كانت وراء اختياري لهذا الموضوع ليكون محور دراستي فهي دوافع موضوعية و أخرى ذاتية بالنسبة للدوافع الموضوعية تمثلت في :

- الدافع الموضوعي بشكل مباشر هو توضيح طبيعة نشاط مدحت في الدولة العثمانية ،وخلفيات الإنجازات التي قام بها كصياغته لدستور البلاد في 1876م،أو مجموع الإصلاحات الإدارية و الاقتصادية والثقافية التي أنجزها في الولايات التي ولي عليها.

- الكشف عن حقيقة التهم التي ألحقت بمدحت كاتهامه بقتل السلطان عبد العزيز أو اتهامه بالعمالة لبريطانيا... الخ.
 - ندرة الدراسات حول هذه الشخصية، لهذا كان لابد من وجود بحث يسلط الضوء عليها بالدراسة التحليلية .
 - أما الدوافع الذاتية فهي كالآتي:
 - ميلي لدراسة هذه الشخصية النابع عن حب الاطلاع و المعرفة.
 - كون المواضيع المرتبطة بالتاريخ العثماني تستحوذ على اهتمامي و ميولي
- ❖ إشكالية البحث:

تتمحور الإشكالية التي بني عليها الموضوع حول دراسة شخصية مدحت باشا أحد رجال الدولة العثمانية، الذي تولى منصب الصدارة العظمى في الدولة لمرتين فكانت له كلمة مفصلية في العديد من الحوادث في داخلها غير أن الحكم على مدى ولاءه للدولة قد أثار الكثير من الجدل .

" هل كانت نشاطات مدحت باشا و إنجازاته استجابة لحاجيات الدولة العثمانية ووفاء لها أم تلبية لرغبة أطراف خارجية ؟ هل يمكن تصنيف شخصية مدحت من خلال نشاطاته في خانة الولاء للدولة أو العمالة لصالح أعدائها؟

و قد تفرعت عن الإشكالية الرئيسية جملة من التساؤلات الفرعية و هي:

- من هو مدحت باشا ؟.
- ما هي أهم الإنجازات التي قام بها من خلال المناصب التي تولاها؟
- كيف قيم المؤرخون شخصية مدحت و دورها في الإدارة العثمانية ؟
- ما هو موقف السلطة العثمانية من مدحت باشا ؟

❖ حدود الدراسة :

يرتبط موضوع دراستي بإطار زمني محدد بدايته عام 1822م، و يمثل هذا التاريخ مولد مدحت باشا و يمتد إلى غاية 1883م وهو تاريخ وفاته .

❖ منهج البحث :

اعتمدت في بحثي هذا على المنهج التاريخي التحليلي وكذا الوصفي، فالتاريخي هو الأنسب كون الحادثة موضوع الدراسة قد وقعت في الماضي و المنهج التحليلي لعرض الآراء المتباينة للحادثة الواحدة كقضية قتل السلطان عبد العزيز و موضع مدحت منها و كذا آراء المؤرخين حول مدحت نفسه،و بالإضافة إلى هاذين المنهجين وظفت المنهج الوصفي لوصف الأحداث التي جاءت في الرسالة.

❖ عرض الخطة:

وقد اعتمدت لاستجلاء خفايا هذا الموضوع على الخطة التالية:

بدايتها كانت بمقدمة ثم قسمت بعدها دراستي إلى ثلاثة فصول وكل فصل ضم مجموعة من المباحث.

الفصل التمهيدي: تطرقت فيه للحديث عن مولد مدحت و نشأته و تعليمه و كذا بعض المناصب التي تولاها قبل ولاية بغداد،و قد حاولت في هذا العنصر أن أوضح مدى تأثير الرحلات التي قام بها في أوروبا على تكوين شخصيته المولعة بكل ما هو غربي.

- أما الفصل الأول فقد تمت عنونته بنشاطات مدحت باشا لخدمة الدولة العثمانية وقد ركزت في هذا الفصل على توضيح جملة من النقاط،بداية باتهام مدحت بالجوانب الثلاث الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية في بغداد محاولا بهذا نقلها إلى مناص الدولة الحديثة كما أوضحت الدراسة أن شخصية مدحت لا تنحصر في كونه رجل دولة

فقط بل هو أيضا عسكري محنك، وقد انعكس شغفه بالغرب في إيجاده لدستور العثماني الذي اقتبسه من الدساتير الفرنسية و البلجيكية .

- في حين جاء الفصل الثاني بعنوان موضع مدحت من قضية مقتل السلطان عبد العزيز ووفاته وحاولت أن أوضح في هذا الفصل مدى وفاء مدحت باشا للدولة العثمانية من عدمه من خلال جملة من الحوادث و من خلال آراء المؤرخين إضافة إلى الكشف عن ملابسات مقتله سنة 1883م، وقد كانت نهاية هذه الدراسة عبارة عن خاتمة تضمنت أهم الاستنتاجات المرتبطة بالموضوع زيادة إلى قائمة من الملاحق المدعمة و الموضحة لها.

❖ أهم المصادر و المراجع:

لانجاز هذا البحث اعتمدت على مادة علمية مستوحاة من جملة من المصادر والمراجع أهمها كان مصدرا ،وهو مذكرات مدحت باشا تعريب يوسف كمال بك حتاته والذي أفادني بشكل كبير في البحث خاصة في جزئيه مولده و نشأته و كذا جزئية وفاته،كما اعتمدت أيضا على مصدر آخر وهو كتاب ماري ماليز باتريك بعنوان سلاطين بني عثمان ،إذ استندت إليه في عرض كيفية خلع السلطان عبد العزيز بالإضافة إلى موسوعة عباس العزاوي المحامي، بعنوان تاريخ العراق بين الإحتلالين و كذا مرجع تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا لصاحبه عبد العزيز سليمان نوار، هاذين المرجعين استندت إليهما للحديث عن إصلاحات مدحت باشا في بغداد، ناهيك عن استعانتي أيضا بمؤلفات احمد أمين ،في مرجع بعنوان فيض الخاطر، وذلك للحديث عن نشأة مدحت وكذلك ،عرض كيفية عزل السلطان عبد العزيز .

❖ الصعوبات:

و كأني بحث من البحوث العلمية واجهتني صعوبات كان أهمها :

- عد تمكني من الحصول على مصادر ومراجع متخصصة في الموضوع.
- عدم توفر إمكانيات للتنقل بين الجامعات قصد التقصي عن الموضوع.
- عدم إجادتي للغات الأجنبية حال دون استعمالني لمصادر أجنبية .
- ضيق الوقت .

وفي الأخير نسأل الله سبحانه و تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا ،وأن يزيدنا علما فإن
أصبت فبتوفيق من الله و إن أخطأت فمن نفسي و من الشيطان.



مدخل تمهيدي



الفصل التمهيدي: شخصية مدحت باشا.

أ- مولد مدحت و نشأته.

ب- تعليمه.

ج- رحلة مدحت باشا إلى أوروبا و أهم المناصب التي تولاها.

الفصل تمهيدي: شخصية مدحت باشا.

أ- مولده ونشأته:

مدحت باشا* هو ابن القاضي الحاج حافظ محمد اشرف وحفيد الروسجقلي الحاج علي أفندي، وقد ولد مدحت علي باشا في الأستانة* عام (1822 م - 1238 هـ)، سماه والده احمد شفيق¹ ولقب بالحافظ وهو لقب يطلق على من يحفظ القرآن الكريم من الأتراك، فكان اسمه الحافظ احمد شفيق، أما مدحت الذي غلب عليه فهو اسم ديواني²، وكان أبوه في ذلك الحين من اكبر الميالين إلى الترقى والعمران ومن أعظم السياسيين بين رجال الدولة ومثال للاستقامة والنزاه وعنوان الفضل والكمال فكان لابنه مدحت أول أستاذ فنعم الأستاذ ونعم التلميذ، كان تقدم هذا التلميذ باهرا ونجاحه سريعا فقد دخل دوائر الحكومة للتمرن وعمره اثنا عشر عاما³.

ب- تعليمه:

انتقل مدحت رفقة والده إلى الولايات التي تولى فيها القضاء يتعلم في مكاتبها، وبعد عودة والده إلى الأستانة ألحقه بأحد أقلام الحكومة، يساعد الكتبة ويتعلم منهم بعض الوقت والبعض الآخر يقضيه في جامع الفاتح، الذي كان فيه حلقات للدروس تشبه جامع الأزهر، فتعلم هناك اللغة العربية والفارسية والدروس الدينية والنحو... الخ، وظل على هذه الحال إلى أن ناهز العشرين من عمره⁴.

* ينظر الى الملحق رقم: (01)

* الأستانة: هو الاسم القديم لاسطنبول و يعني عتبة الباب و المركز و التكية الكبيرة ، ينظر :سهيل صابان ،المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، (د ط) ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض، 2000م، ص15.

¹ مدحت باشا، مذكراته، تع: يوسف كمال بك حتاته ، ط1، مطبعة هندية، مصر ، (دت)، ص04.

² أحمد أمين، فيض الخاطر، ج 6، (دط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م، ص187.

³ عزرا سمويل ساسون، مدحت باشا و جمعية الاتحاد والترقي العثمانية، (دط)، مطبعة جرجي غرزوزي، الإسكندرية، 1910م، ص06.

⁴ أحمد أمين، فيض الخاطر، المرجع السابق، ص187.

وعلى الرغم من أن ثقافته كانت ضعيفة فلا تاريخ ولا جغرافيا ولا رياضة ولا لغة أجنبية، ولكن قد يعلم الزمن العقل المستعد أكثر مما تعلمه المدارس النظامية والبرامج الثقافية، ولذلك تراه يشعر بنقصه الثقافي إذ كان يطالع الكتب بنفسه، ولما جاوز الثلاثين من عمره رأى أن الحاجة الثقافية والسياسية ماسة إلى تعلم لغة أجنبية فتعلم اللغة الفرنسية فكان ينطق بها وهو يشتغل في وظيفته¹.

- ويتضح لنا من خلال ما سبق، أن مدحت باشا قد نشأ في بيئة ثقافية حيث حرص والده على تلقينه مختلف العلوم في بدايته الأولى، وفي كبره سعى إلى كسب مختلف المعارف، وذلك نظرا لما كانت تفرضه الدولة العثمانية في تلك الفترة على القائمين بشؤونها من الموظفين من وجوب تعلم اللغة الفرنسية، فالاشتغال بالسياسة يحتم عليهم ذلك وقد ساعدت السياحة التي قام بها مدحت على تحسن لسانه.

• رحلة مدحت باشا إلى أوروبا وأهم مناصب التي تولّاها:

توجه مدحت إلى الحكومة ليطلب إجازة بقصد السفر وحاز عليها، ثم غادر الأستانة قاصدا عواصم البلاد الأجنبية، فزار أولا باريس ثم لوندرة وبعدها فيينا، ولم يكن يقصد من هذه الزيارة الترويح عن نفسه، بل كان الغرض منها التجول كدارس حازم وسياسي خبير، فاطلع على كل شيء ولاحظه بإمعان²، أقام مدحت في أوروبا ستة أشهر، حيث وقف على أسرار تقدم هذه الولايات³.

- إن غرض مدحت من وراء قيامه بهذه الزيارة، هو الاطلاع على الأوضاع الاقتصادية والإدارية والسياسية لبعض الولايات الأجنبية أكثر مما هو سياحي.

¹ أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، (دط)، دار الكتاب العربي، بيروت، (دت)، ص 31.

² عزرا سمويل ساسون، المرجع السابق، ص 25 .

³ مدحت باشا، المصدر السابق، ص 10.

- وبعد عودته إلى الأستانة تدرج في سلم الوظائف موثقا أواصر العلاقة ببعض ذوي الشأن من رجال الدولة، فتعهد إليه عام 1852م مهمة رئاسة لجنة تفتيشية في إيالتى دمشق وحلب، فنجح في مهمته نجاحا باهرا وحضى باحترام رؤسائه¹، وتقلد بعد ذلك عدة وظائف في البلقان* وبروسية*، وقضى فيها جميع عقد الخمسينيات، وفي مطلع ستينات القرن الماضي، برز اسم مدحت باشا كموظف قدير من موظفي الدولة في إيالتها الأوروبية².

- وفي عام 1860م عين هذا الأخير على ولاية نيش ونواحيها أسكوب*، ويرسترن فشرع في إصلاح داخلية البلاد مبدئيا، حتى تدور الحركة ودولاب الأعمال، فقام بتعديل نظامها لكي لا يتم إهمالها³، ولعل تعيين مدحت باشا في هذا المنصب كان له أهداف وأسباب دفعت بمحمد باشا القبرصي إلى الوثوق بمدحت أفندي، الذي توجه إلى كل من روسجق ودين ونيش وقام بعزل بعض الموظفين هناك لسوء سيرتهم وعين بعدها

¹ جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، (دت)، ص 145-146.
*البلقان: وهي شبه جزيرة تقع جنوب شرق أوربا بين البحر الأسود، المتوسط، الأيوبي و الأدياتيكي، و قد وقعت تحت الحكم العثماني بحلول عام 1500م، في عهد السلطان مراد الأول الذي توغلت قواته في عمق أوربا الشرقية حتى وصلت إلى الساحل الأدياتيكي، ينظر: نيهان يحيى محمد، معجم مصطلحات التاريخ، (د ط)، دار يافا العلمية، الأردن، 2006م، ص 68.

*بروسية: هي مدينة في تركيا الآسيوية، (أناضول) مركز ولاية و لواء حدا ودكار، بنيت المدينة على ساحل جبل قريبة من جبل الأولمب فيها حوالي 80 ألف نسمة، مقر سقفيه يونانية، أسس بروسة بروسياس الثاني. ينظر: س مستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، تر: عصام محمد الشحاذات، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، 1423هـ، 2002م، ص 157.

² جميل موسى النجار، المرجع السابق، ص 146.

*أسكوب: وهي مدينة تركية أوروبية، في مقدونية، مركز ولاية و لواء، تمتد على ظفتي نهر غاردار، او وادار تشكل المدينة حدا فاصلا بين كل من مقدونية و البانية و صربية ن، ينظر: س مستراس، المرجع السابق، ص 67.

³ عزراسمويل ساسون، المرجع السابق، ص 26-27.

مدحت واليا عليها¹، فسارع للقيام بإصلاحات داخلية هناك تمثلت في الخط الهمايوني*.

- قام بفحصه وزاد عليه ما رآه مفيدا ولازما، ثم عمد إلى تنفيذه بمهمة فائقة وركز في هذا النظام على جملة من النقاط²:

- إن الوطنيين متساويين في الحقوق، حيث أشرك جميع العناصر في المجالس الإدارية في الولايات، وفرق الوظائف الإدارية كل إدارة لوحدها، كما نظم مجالس البلدية وخلص التحصيلات من الظلم والاعتقال، كما اعد لدائرة الإجراء والتحصيل قوانين صارمة وضرب على أيدي الذين مدوا أيديهم إلى الأموال وتعدو على حقوق الرعية، ما كان حملا لا يطاق لدى الأهالي وظلما لا يستحمل عند المزارعين الذين يسقون أراضيهم من عرق جبينهم، فيرونها بين أيدي المستبدين، وبفضل إجراءات مدحت تم إيقاف المستبدين³، ونظم البلاد بطريقة لم تكن في الحسبان⁴، وذلك طيلة ثلاثة أعوام، وبعد النجاح الذي حققه مدحت باشا في ولاية نيش استدعاه الصدر الأعظم فؤاد باشا ليشاركة في وضع بنود (نظام الولايات*)، وقد نشر هذا النظام في أواخر سنة 1864م، أرسل مدحت ليتولى شؤون ولاية "طونة" وتمكن من أن يطبق هذا النظام فيها

¹مدحت باشا، المصدر السابق، ص15.

*الخط الهمايوني: الصادر في 18 فبراير 1856م، أطلق في المرحلة الثانية في الإصلاحات الخيرية في الدولة العثمانية، أقر هذا الخط جملة من التعديلات منها عدم تطبيق عقوبة الإعدام على المرتدين عن الإسلام وافر أيضا ان الخدمة العسكرية على المسلمين وغير المسلمين وساوى بين موظفي الدولة العثمانية ويهدف الخط الهمايوني الجديد الى استثارة بعواطف الدول الأوروبية للوقوف إلى جانب الدولة العثمانية في مواجهة أطماع روسيا في أراضي الدولة العثمانية ينظر: عبد اللطيف الصباغ، تاريخ الدولة العثمانية، (د د ن) ، (د م ن) ، (د ط)، (د ت)، ص 107.

²عزرا سمويل ساسون، المرجع السابق، ص27-28.

³نفسه، ص28-29.

⁴نفسه ، ص29.

*نظام الولايات: الصادر في 1864م ويقوم على تقسيم الولايات على سبعة سناجق و يقسم السنجق إلى أقضية والقضاء إلى نواحي وفي كل مجالس خصوصية لوضع الأموال الأميرية وجمعها، وقاعدة هذا النظام إشراك الأهالي في تدبير شؤون بلدهم مع الحكومة في تقدير الأملاك وتعيين خراجها ينظر: جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج1، (د ط)، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ص382.

بنجاح تام وقد كان لوجوده في تلك المنطقة منذ عام 1861م، كباشا لولاية نيش الملغاة، أثر على نجاح تطبيق هذا النظام في ولاية طونة¹ وقد استمر في هذا المنصب إلى غاية أوائل سنة 1868م، وعلى الرغم من قصر المدة التي قضاها هناك فإنه تمكن من انجاز العديد من الأعمال الإصلاحية، التي لم يشاهد مثيل لها في جميع أرجاء الدولة، وغدت هذه الولاية نموذجا للإصلاح يحتذى به في الولايات الأخرى وذلك ما شجع لولي الأمر في العاصمة على إدخال نظام الولايات في بقية إيلات الدولة وتطبيقه فيها بصورة تدريجية²، ومن بين أعمال مدحت باشا في ولاية طونة قيامه بإلغاء السخرة*، ومهد ألفين كيلومتر من الطرق، وبنى 1400 جسر، وأنشأ سفنا تجري في الطونة (الدانوب) عليها العلم العثماني وأبطل اللصوصية ونظم جندرمية وأنشأ مصارف وطنية لتسليف فقراء المزارعين³، وقد أنشئت هذه المصارف في جميع أقضية الولاية تقريبا، كما قام مدحت بتشديد المستشفيات وفتح الملاجئ و مدارس الصنائع للأيتام وأبناء الفقراء، كما قام أيضا بإصدار جريدة باسم الطونة في مدينة روسجق مركز ولاية الطونة باللغتين التركية والبلغارية، وكانت هذه أول جريدة حكومية تصدر في ولاية الدولة العثمانية⁴.

ونتيجة لجميع تلك الأعمال الإصلاحية فقد انتعشت الزراعة والتجارة وزادت موارد الولاية من 26 ألف كيس إلى أكثر من 300000 كيس سنويا بعد إخراج نفقات المشاريع العامة منها⁵.

¹ جميل موسى النجار، المرجع السابق، ص 146.

² نفسه .

*السخرة: هي عمل جبري وبدون مقابل، شكل نوعا من العبودية أو التبعية الذليلة، يفرضه المنتصر على المهزوم كما فعل جيش أبهة باهل اليمن عندما أرغمهم على تقديم ضروب السخرة في لأبناء كنيسة صنعاء ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسية، ج3، (د ط)، مؤسسة العربية للدراسات و النشر، (د م ن) ، (د ت) ، ص 152.

³ جرجي زيدان، المرجع السابق، ص 382.

⁴ جميل موسى النجار، المرجع السابق ، ص 147.

⁵ جميل موسى النجار، المرجع السابق ، ص 147-148.

- وقد أنشأ العثمانيون القاعدة التمهيديّة للمجالس النيابية وذلك بتأليف مجلس شورى الدولة في سنة 1866م¹، وتوجه علي باشا الصدر الأعظم إلى جزيرة كريد*، وكان فؤاد ناظر الخارجية يقوم بتأدية وظيفة الصدارة العظمى فأستدعي مدحت باشا للتشاور في أمور تختص بولاية الطونة وغيرها من الولايات، وعزم مدحت أفندي على العودة بعد إتمام ما أنيط به، وفي هذه الأثناء جاء علي باشا وقرر بالاتفاق مع فؤاد باشا إحداث مجلس وديوان للأحكام العدلية وأصدر الإدارة سنية قاضية بتعيين مدحت لرئاسة الأول²، وفي عام 1868م، استدعي مدحت إلى الأستانة ليتولى رئاسة المجلس الذي أنشئ حديثاً³، فبدأ بترتيب مجلس شورى الدولة وتنظيمه فاخذ ينظمه على نسق مجلس الشورى في فرنسا وجعله على ثلاثة أقسام الإداري والحقوق والجزائي، كان يرأس المجلس وزير من الوزراء ويتلوه السكرتير وثلاثة عشرة عضوا ماعدا ستة عشر مستشارا من ضمنهم ثلاثة نواب عن العناصر الغير إسلامية⁴، فقام خلال فترة رئاسته القصيرة لهذا المجلس التي لم تتعدى شهور قلائل بالعمل على تنظيم أعماله ووضع عددا من مشاريع الأنظمة والقوانين، التي تتماشى مع سياسة الإصلاح التي كانت تنتهجها الدولة⁵، فكان ينظر إلى ما يعود على الأمة بالفائدة ، فمما أحدثه صندوق الأمانة، وكذا مكتب الصنائع التي كانت ملجأ للفقراء والأيتام ، وفضلا عن ذلك فقد كان السبب في زيادة عدد الصنائع في داخلية البلاد ، ولذا فإن الوكلاء قد

¹عزرا سمويل ساسون، المرجع السابق، ص 51.

* جزيرة كريت: هي جزيرة في البحر المتوسط في وسطه تقع بين خطي العرض 34 درجة و 35 درجة شمالا والطول 21 و 24 درجة شرقا، هي جزيرة كثيرة الجبال ذات ارض وعرة وطبيعة قاسية كان فيها قديما مائة مدينة، بعد أن حكم الجزيرة ملوك من أبنائها خضعت على التوالي لحكم الرومان ثم اليونان ثم العرب المسلمين ثم الجنوبيين ثم البنادقة وأخيرا فتحها الأتراك يوم 18 أيلول سنة 1669م بعد حصار دام سنتين وثلاثة أشهر و 27 يوما ينظر: س موستراس ، المرجع السابق، ص 421-422.

²مدحت باشا ، المصدر السابق، ص155.

³جرجي زيدان، المرجع السابق ، ص284.

⁴عزرا سمويل ساسون، المرجع السابق، ص51-52.

⁵جميل موسى النجار، المرجع السابق، ص148.

طلبوا إحداث مثل هذه المكاتب وقد كانا لأيتام يدرسون في المكتب القراءة والكتابة والحساب والرياضيات والصنائع المتنوعة، كالحداثة والتجارة وترتيب الحروف وتجليد الكتب وصنع الكبريت وسبك الحروف والخياطة وغيرها¹، وذكرنا أيضا أن مدحت باشا قد أسس صندوق الأمانة لإسعاف ذوي الاحتياجات في الأستانة، وهذا الصندوق موجود لليوم وهو يقبل إيداع الأموال ويقرض ذوي الحاجات بفائدة قليلة².

-إن الإنجازات التي حققها مدحت باشا في ولايتي الطونة ونجاحه في تطبيق نظام الولايات، ساهم بشكل كبير في إسراع سلطان الدولة العثمانية إلى تعيين مدحت في رئاسة مجلس الشورى، هذا المجلس الذي كان يضطلع بمهمة سن الأنظمة والقوانين وتدقيق المعاهدات والاتفاقيات الدولية، وبهذا أضحت مدحت باشا واحدا من أهم رجال الدولة العثمانية في تلك المرحلة، كما آمن مدحت باشا بأن الإصلاح البرلماني هو إصلاح لحال الدولة السيئة، فخطى في ضوء ذلك خطوات نحو الإصلاح، تمثلت في جعل كبار الموظفين في الدولة مسئولين عن أعمالهم أمام الباب العالي، لكن واجهت مثل هكذا خطوات إصلاحية كثيرا من الصيحات المعارضة من ذوي الأفكار الرجعية الذين رأوا في هذه الخطوات تهديدا لنفوذهم، فعملوا على إثارة الشكوك، لدى السلطان العثماني بمدحت باشا على أنه يرغب في إقامة نظام جمهوري³، يعمل للحد من نفوذ الأسرة الحاكمة، لقد أمر الباب العالي لأجل ذلك كله بإصدار التعليمات والأنظمة من دون عرضها على مجلس شورى الدولة⁴، ولم يستمر مدحت باشا في منصبه كرئيس لمجلس شورى الدولة طويلا، حيث اضطر إلى تقديم استقالته من هذا المنصب حسما للخلافات التي نشبت

¹مدحت باشا، المصدر السابق، ص156-157.

²نفسه.

³أحمد صالح عبوش، قاد الإصلاح والتشريع في العالم عبر التاريخ، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، (د ت)، ص254-255.

⁴ أحمد صالح عبوش، المرجع السابق، ص255.

بينه وبين الصدر الأعظم السابق عالي باشا في 1869م، ثم عين بعد استقالته مباشرة واليا على ولاية بغداد¹.

- وفي الأخير نستنتج أن مدحت باشا قد نشأ في بيئة علمية، حيث ساعده والده على صقل معارفه، شيء آخرأفاده فائدة كبرى في ثقافته وهي سياحته إلى أوروبا لدرس النظم السياسية والاجتماعية التي أصلحت من شأنها وعولجت بها المفاصد التي كانت تعاني منها تركيا، فكانت زيارته زيارة استطلاعية لكشف عن كيف تنظم الدول الأوروبية خزائنها وكيف تسوي أمورها، وما نظام الحكم وعلاقة الشعب بالملك، فسعى مدحت إلى الاستفادة منها ومن كيفية تسييرها، حيث اجتهد فيما بعد على إدخال ما رآه نافعا ومفيدا للدولة، بما ينفع ويخدم حياة بلاده ورفاهيتها، وذلك بعد تقلده مناصب هامة في الدولة: كمجلس شورى الدولة وغيرها من المناصب.

¹ جميل موسى النجار، المرجع السابق، ص148.



الفصل الأول



الفصل الأول : أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية.

- المبحث الأول: إصلاحات مدحت باشا في بغداد 1869م (اقتصادي، اجتماعي، ثقافي).
- المبحث الثاني: حملة مدحت باشا على منطقتي الإحساء و نجد في 1871م.
- المبحث الثالث: إصدار الدستور أو القانون الأساسي 1876م.

الفصل الأول : أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

المبحث الأول: إصلاحات مدحت باشا في بغداد 1869م:

تمهيد:

كان العراق جزءا من الإمبراطورية العثمانية مترامية الأطراف، والتي كانت قد قسمت إلى عدة ولايات، ويتم تعيين الوالي فيها بواسطة فرمان يصدره السلطان، إذ أن أكثرية الولايات كانوا مطلقي التصرف بإدارة شؤون الولايات، فهو الرأس الأعلى للولاية يديرها حسب رأيه، ويهيمن على كل قضاياها فيتمتع بصلاحيات لا حدود لها، وهو الذي يأمر بالسجن والموت ويقود الجيوش لإخماد الثائرين، فإذا كان الوالي صالحا صلحت به البلاد وإن كان فاسدا. انتشر فيها¹ الفساد و الفوضى وغاب عنها الاستقرار، ولم يكن الوالي يأخذ بأمر الأستانة حتى في أخطر الأمور أدقها وقد تمتد ولاية العراق -أو بغداد- من البصرة حتى الجزيرة وقد تنقلص لتشمل بغداد وحدها²، ومن أشهر الولاة لهذه الولاية هو مدحت باشا، وقبل التحدث عن فترة ولايته لابد من الإشارة إلى ولاية نامق باشا، والتي امتدت (1863م-1865م)، شهدت فترة حكم هذا الوالي تفشي مرض الطاعون والكوليرا في عام 1866م، بالإضافة إلى انتشار حوادث السطو مصحوبة بجرائم القتل، وهذا تحت مرئ حكومة نامق، ومع أن سياسته امتازت بالعدائية اتجاه القبائل العربية غير أنها كانت فاشلة في مجموعها، ولم تؤثر في متطلبات الأعمال العامة، مثلما كان الحال دائما في بغداد مع معظم الحكام الأتراك³.

¹ يوسف عز الدين، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، (د ط)، منشورات دار البصري، بغداد، 1386هـ، 1967م، ص 5-6.

² نفسه.

³ ج. لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، تر: قسم قطر بمكتب أمير قطر خليفة بن محمد الثاني، ج4، مطابع علي بن علي، (د ط)، (د م ن)، ص 2116-2117.

- وقد أهمل جزءا رئيسيا في برنامجه الإداري، وذلك في وقت مبكر حيث فتح المجال للشهرة، وكان طموحه الرئيسي أول ما وصل إلى بغداد هو إقامة مشروع عرف بمشروع سد الجزيرة، وحث الحكومة التركية على الاستفادة من خدمات موظف خبير هولندي لهذا الغرض، فقد كان متحمسا لانجاز هذا المشروع وعلى أية حال فإنه لم يسمع عن هذا المشروع أي شيء طوال فترة حكمه، ثم تلى نامق باشا تقي الدين باشا*، الذي يحتمل انه كان حاكما لكركوك، ثم أصبحت السلطة في بغداد بيده سنة 1868م، ولم يكن حال العراق في فترته أحسن من سابقه¹، فقد سارت حركة الإصلاح في العراق سيرا بطيئا جدا، وذلك طوال المدة التي امتدت من ولاية رضا علي إلى غاية مدحت باشا، ولم تبدأ عملية الإصلاح التي وضعها محمود الثاني وعبد المجيد إلى بعد القضاء على دولة المماليك* بسنوات عديدة².

ودخل مدحت باشا بغداد واليا في اليوم الثلاثين من نسيان (1869م - 1280هـ)، وما شجع على ذلك هو سيرته السابقة عندما عين واليا في العديد من الولايات من قبل، جيء به إلى هذه الولاية النائية من اجل الإصلاح والتجديد، فبعد أن قضى شهورا قلائل في المركز في استانبول تم استدعائه إلى بغداد، وعين واليا لها خلفا لتقي الدين

*تقي الدين باشا: هو محمد تقي الدين باشا الحلبي، والي عثماني، وذلك في أواخر شهر شوال من عام 1291هـ كان قبل الباشاوية في سلك العلماء، تولى الفتوى نحوى عشر سنوات ينظر: محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة وبعض القرون الماضية، ج3، ط1، مطبعة المدني، القاهرة، 1990 م، ص102.

¹ج.ج. لوريمر، ج4، المرجع السابق، ص 2116-2117.

*دولة المماليك: امتد حكمهم على مدى قرنين ونصف من الزمن، ابتداء من منتصف القرن الثالث عشر ميلادي وانتهى في أوائل القرن السادس عشر، وقد كان الخلفاء وكبار القادة والولاة في دولة الخلافة العباسية يشترطونهم من أسواق النخاسة البيضاء لاستخدامهم كفرق عسكرية خاصة، بهدف لاعتماد عليهم في تدعيم نفوذهم وأضحى المملوك مع مرور الوقت الأداة العسكرية الوحيدة في بعض الدول الإسلامية مثل دولة المماليك التي قامت في مصر والشام وكان مصدرهم آنذاك بلاد ما وراء النهر واشتهرت مدن سمرقند وفرغانة وأشهرت مدنها: اشروسة والشاش وخوارزم بأنها المصادر الرئيسية لتقدير الرقيق الأبيض ذو الأصول التركية ينظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (647هـ/923هـ/1250م/1517م)، ط1، دار النفائس للطباعة والتوزيع، بيروت، 1997م، ص 16-17.

²حسين مؤنس، الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ط1، مطبعة حجازي، القاهرة، 1935م، ص384.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

باشا، وكان إذ ذاك في أوج قوته ونشاطه حيث كانت في أول شبابه، وله السلطة المطلقة والكاملة ملكيا وعسكريا¹.

• نشير بدورنا هنا إلى أن الولاة الذين سبقوا مدحت باشا على ولاية بغداد قد عانوا مجموعة من المشاكل فيما يتعلق بالتجنيد والضرائب.

توجه مدحت إلى بغداد فوجد بها من المشاكل الكثير، غير ما في ولاية الطونة ونعني هنا مسألة التجنيد، لأن القبائل العربية التابعة لولاية بغداد لم تكن ترضخ لحكم التجنيد، فتمردت على الدولة، فجمع مدحت بين القوانين العسكرية والإدارية، وعزم على إخضاع الثائرين بالقوة، وكان الولاة يعانون كثيرا في تحصيل الضرائب من القبائل فتحدى الشدة في تحصيلها بقوة الجند وقد أفلح².

لقد ولي مدحت على العراق، وولي سلانيك وولي الشام وأزمير، وكان له في كل تلك الولايات خطة واحدة: يعتمد إلى الأشقياء اللذين يعبثون بالأمن فيتصدى لهم ويضربهم بقوة لترهب قلوبهم وقلوب أمثالهم فيصبح الأمن شامل والهدوء عام، ثم ينشر العدل بين الناس فيطمئنون على أنفسهم وأموالهم، فيعمل بالشورى، ويحيط نفسه بمجلس من خيرة الولاية يستشيرهم في أمورهم³، فيلزم على قول الحق ويعلمهم كيف يتصدون للمشاكل ويعالجونها، فيضع الخطط لاستغلال منابع الثروة في البلاد على خير وجه وكل ولاية بما يناسبها⁴.

أما أعمال مدحت باشا الأخرى في ولاية بغداد، فكان معظمها يدور حول هدف الإصلاح والعمل على صلاح الجهاز الإداري ومؤسساته، وتطبيق الأنظمة والقوانين التي شرعت إبان فترة التنظيمات والخروج بالولاية بقدر المستطاع من القرون الوسطى التي

¹ هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث تر: جعفر الخياط، ط6، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، 1985م، ص 358-359.

² جرجي زيدان، المرجع السابق، ص 384.

³ أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 53.

⁴ نفسه.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

كانت تعيش فيه قبل توليته عليها، إلى عهد الرقي والتقدم الذي وصلت إليه آنذاك، ليست فقط الدول الأوروبية، بل حتى عاصمة الدولة العثمانية، وعدد كثير من ولايتها العربية وغير العربية كولاية مصر وولايات الشام¹، بالرغم من انه كان هناك فارق في التقدم بين الدول الأوروبية وتقدم بعض عواصم الدولة العلية².

أ- إصلاحات مدحت باشا الاقتصادية:

- أولى مدحت باشا عناية خاصة بهذا النظام فأدخل عليه جملة من التعديلات وسعى إلى النهوض باقتصاد هذه الولاية من خلال مايلي:

1-رسوم الاحتساب:

- الاحتساب أو الضريبة يقوم على قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القديم، وسعى الوزير إلى إلغائها (الضريبة) وإلغاء الباج*، وهذا ماجاء في جريدة الزوراء " هذه الرسوم لا تؤخذ من كل لواء، وإنما يجب إبراز وصل مشعر بالأخذ وهكذا يراعى فيها ضرائب الكمرك، فإذا صار ما هو تابع لرسم الاحتساب إلى قضاء آخر ولم يؤخذ عند رسم فحينئذ يستوفي الرسم المطلوب بموجب تعرفه والملتزمون يجب أن يراعوا ذلك تماما"³، فلطالما سعى مدحت إلى إصلاح النظام المالي والإدارة المالية للولاية، فقد ألغى بعض الضرائب المحلية التي وصفت بأنها "معوقة ومضايقة" مثل: رؤوس البقر وهي ضريبة تدفع على الآلات التي تستعمل لرفع المياه من الأنهار والجداول والأراضي الزراعية وتسمى في العراق النواعير جمع ناعور⁴، كما ألغى ضريبة طالبه

¹ جميل موسى النجار ، المرجع السابق، ص155.

² نفسه.

*الباج: هي كلمة فارسية الأصل تعني رسوم المبيعات على مختلف الأنواع والرسوم المدفوعة و الهاديا المقدمة من الشعب إلى السلطان، ينظر: محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية ، قسم التاريخ، جامعة دمشق، ع: 117-118 كانون الثاني ، حزيران لعام 2012م، ص 366.

³ عباس العزاوي المحامي، موسوعة تاريخ العراق بين لإحتلالين العهد العثماني الثالث (1247هـ-1831م)-

(1289هـ-1872م)، ج7، (د ط)، الدار العربية للموسوعات ، (دم ن)، (د ت)، ص 194-195.

⁴ جميل موسى النجار، المرجع السابق، ص156.

وهي الضريبة المفروضة على الزوارق الشعبية التي تعمل في الأنهار، وضريبة "خمس حطب" بمقدار عشرين بالمائة على الوقود الذي يجلب إلى المدينة في العوامات أو القوارب¹.

2- تطهير نهر الفرات:

لقد بذل الانجليز منذ القديم جهدا كبيرا في تسيير سفنهم بنهر الفرات، واشتغل على هذا الأمر الكولونيل شيشني لزمان طويل، لكنه لم يفلح وقام بإنزال وابورات من جهة البراجيك، فغرقت بنهر الفرات وعد هذا من باب القضاء والقدر، لطالما كان هذا النهر صالحا للملاحة ،وقد تهدمت بعض المباني على ضفتيه وبقت الأحجار في قاع النهر فتوجه مدحت إليه².

ووجد أن هناك إمكانية لتطهيره فأرسل شاكرك بك ومعه مجموعة من الخبراء لدراسة الوضع، وأقر شاكرك بك أن النهر صالح لمرور السفن ،فأحضر العمال فاشتغلوا على تطهيره³.

يعرف نهر الفرات بمياهه سريعة التدفق والجريان هذا لأمر يتطلب توفر سفن سريعة لتسيير فيه بسهولة، هذا ما دفع بمدحت باشا إلى العمل على إيجاد سفن سريعة، فأولى اهتماما شديدا لهذا الأمر بل وصل به الحد إلى أن قام بطلب استيراد وابور من ونوع الوابورات التي يستعملها النمساويين ،ولكن لم يتم إحضار هذا الوابور إلا بعد مغادرة مدحت باشا لبغداد.

3- نظام الأراضي:

- بعد الثورات والمنازعات ضد العشائر العراقية كان مدحت باشا أول مسؤول تركي يدرك خطأ المسألة السياسية المتعلقة بانتهاج القوات الترهيبية بالسيف، إذ كون نظام

¹ ج.ج.لوريمر، المرجع السابق، ص2119.

² مدحت باشا، المصدر السابق، ص166.

³ نفسه، ص167.

الأراضي نظام حاسم في تحديد العلاقة بين الحكومة والعشائر¹، فقد كانت الأراضي عندما احتل العثمانيون العراق عبارة عن أقطاعات عسكرية، وقد استعاضوا منها بنظام الأراضي الأميرية، ومن ثمة أصبحت معظم أراضي العراق من هذا الصنف، أما العقارات التي كانت بوسع أصحابها أبرز حجج شرعية لإثبات كونها أراضي خراجيه، فقد بقيت في أيدي أصحابها، باعتبارها على الشاكلة نفسها، اعترف بالمعابد الدينية كالأوقاف نأما بقية الأراضي فمنها ما قسم إلى أقطاعات عسكرية، ومنها ما منح باللازمة ومنها ما احتفظ به العشائر والزعماء الوراثيون بموجب نظام الحياة المحلي. ومن هنا فإن العراق العثماني قبل عهد الحكومة المركزية عكس ملامح النظام الاقطاعي المدني والعسكري معا، في الوقت نفسه احتفظ بالنظام الإسلامي للملك والوقف وكذلك بالحياة العشائرية²، ويعتبر نظام الطابو* أهم ما يجلب الانتباه في أعمال مدحت في الجانب الاقتصادي، فهو يرمي إلى إيجاد حل لمشكلة استقرار العشائر، بالإضافة إلى وضع نهاية لتمرداتهم المتكررة وتحويل أفرادها إلى مواطنين مستقرين، وذلك بتوفير سبل العيش وتحسين وسائل الري³.

4- ترامواي الكاظمية*:

الكاظمية أشبه بالمحلة من محلات بغداد لا تبعد كثيرا عنها فيها مرقد الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد، والناس هناك بين زائر وصاحب شغل أو مقيم، والاتصال ببغداد دائم بلا انقطاع، وإن الوسائط النقلية القديمة معروفة غير أن المرء يتطلع إلى ما يسهل للتنقل، وتزيد الحاجة في مواسم الزيارات والأعياد أكثر... والضرورة أشد عندما يريد

¹ وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، سلسلة أطروحة الدكتوراه "5"، (د ط)، مركز دراسات الوحدة العربية، بغداد، 1985م، ص 49.

² سيار الجميل، تكوين العرب الحديث، ط 1، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، (د ت)، ص 400.

* نظام الطابو: وهو نظام يتضمن 33 مادة مع ملحقين للتعليمات، انشأ بموجبها نظاما قانونيا للسجل والعقود، والمتخصصة بالأراضي وحوزت تفويض الأراضي الزراعية الأميرية، ينظر: نفسه، ص 398-399.

³ نفسه، ص 400.

* ينظر الى الملحق رقم: (02).

المرء نقل البضائع... ووسائل النقل لا تغطي الحاجة، وفيها من الصعوبة ولأضرار ما يكفي ناهيك عن أيام الأمطار مما لا يحصى ضررها، كل هذا دفع مدحت إلى التفكير في إنشاء شركة تسهل على الأفراد الذهاب والإياب وقضاء حاجياتهم¹ فأنشأ مدحت تزام الكاظمية لان البلدة كما ذكرنا بعيدة إذ تبعد عن بغداد ما يقارب الساعة والنصف ساعة، لأجل تسهيل المواصلات وإظهار آثار مدنية لأهل بغداد وكان طوله 7 كيلومترات وجعله شركة مركبة من 6 آلاف سهم كل سهم بليرتين ونصف ، وقد بلغت نفقات عربات تزام ولوازمه وخيوله 18 ألف ليرة وبقي على رجال الشركة دين يبلغ 6000 ليرة ولكن أرباحه كانت تربوا على عشرين في المائة ولذلك فان أرباب الأسهم قد سددوا ديونهم من صافي الإيراد².

ونستنتج في الأخير أن خط الترامواي الذي انشأ بين مدينتي بغداد والكاظمية قد ساهم بشكل لا يوصف في تخفيف العناء على العراقيين وقد دام استغلال هذا المشروع إلى غاية سنة 1941م حيث صدر حكم بتصفية شركة ترامواي واتخذوا ذريعة أنها غير مصادق عليها وتم إلغائها.

5-التجارة والطرق البحرية:

كانت التجارة في الهند قديما عبر طريق البصرة و مصر لكن الأوضاع تغيرت فصارت عن طريق رأس الرجاء الصالح* و منها إلى أوروبا ثم فتح قناة السويس في 01 شعبان 1286هـ 16 تشرين الثاني سنة 1869م فتغير الوضع أكثر و تباعدت التجارة الهندية وأحكم الأجانب قبضتهم و من هنا بدا التعامل معهم و اشترت الدولة

¹عباس العراوي المحامي، المرجع السابق، ص 277.

²مدحت باشا، المرجع السابق، ص168.

*رأس الرجاء الصالح: يقع في الطرف الجنوبي لإفريقيا اكتشفه باتلميو ديباز و عرفه رأس العواصف وقد أطلق عليه ملك البرتغال يوحنا الثاني 1481-1490 م اسم الرجاء الصالح تيمنا بالكشف الجديد و ذلك في عام 1987م . ينظر: فاروق عثمان أباطة، اثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر و عالم البحر الأبيض المتوسط أثناء القرن السادس عشر ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة، (د ت) ، ص39.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

مركبا،دعته بابل (بقوة 350 حصانا)و سعته 1700 طن يستطيع حمل 280 من الركاب و قد اشترته الحكومة بمبلغ 133500¹ ليرة و تقرر أن يؤخذ مركب آخر من نوع يسمى مدحت باشا الذي كان يسير في الدانوب و يستخدم للسير بين القرنة و البصرة والكويت و بندر أبي علي و كذا البحرين².

وقد وضع مدحت السفينة البخارية التي تسير في أعلى الفرات و تقوم بتنظيم المرور فيه عند أقصى اتساع له، اقترح أن يكون من ضمن عملها ملاحظة السدود على النهر في مقاطعة الجزيرة من أجل حصر المياه في مكانها الأصلي وهذا تحسبا لقيام أو حدوث الفيضانات التي كانت في كل سنة تغمر مساحات كبيرة من الأرياف في منطقة الجنوب وقد تمتد للنقل إلى البصرة³.

نشير هنا إلى انه بعد فتح قناة السويس في 1869م، تغيرت ملامح التجارة في العالم بأسره فأصبحت القوى العالمية الأوربية تتحكم في أهم الطرق التجارية البحرية، غير أن اكتشافها لم ينعكس بالإيجاب على الدول الأوربية فحسب بل أيضا كانت له فائدة بالنسبة للدولة العثمانية فقد أصبحت الكثير من سواحلها متصلة ببعضها البعض و هذا ما عزز نفوذها.

6 -السفن و الطرق البرية:

كانت إدارة السفن هناك بيد شركة انجليزية تشتغل بين بغداد و البصرة فألف مدحت شركة عثمانية و رسم السفن القديمة، كما أوصى على سواها و قام بتخزين الفحم لها في كل مسقط و عدن و بندر و عباس وبوشهر إذ كانت هذه السفن هي أولى السفن العثمانية التي تعبر قناة السويس إلى الأستانة⁴و سعى مدحت إلى توسيع هذا العمل

¹عباس العزاوي المحامي، المرجع السابق، ص 218-219.

²نفسه، ص 119.

³ج ج لوريمر، المرجع السابق، ص 2119-2120.

⁴جرجي زيدان، المرجع السابق، ص 385.

وأوصل تلك البواخر شمالا إلى آخر ما يستطيع من شواطئ النهرين فعمر كثيرا من البقاع و اتسعت الأرض المزروعة ¹، كما أولى مدحت باشا اهتماما كبيرا بالمواصلات ووسائلها حيث فتح عدد من الطرق البرية ونظم أعمال البواخر الحكومية والتي عرفت ب: الإدارة النهرية وطهر كما ذكرنا سابقا نهر الدجلة والفرات وكانت هذه البواخر في عهده تصل إلى موانئ الخليج والبحر الأحمر و أوروبا².

7- إنشاء الأسواق (سوق مدحت باشا) :

هذا السوق الشهير معروف باسمه مقره مدينة دمشق وهو يمتد من الجابية إلى البزورية و كان يعرف في القديم بسوق جقمق وهو جزء من الشارع المستقيم المفتوح في العهد الروماني حيث قام مدحت باشا بتوسيعه بعد أن أشعل النار في الدور السكنية لإخلائها³

ومن خلال هذا العرض يتضح لنا أن الجانب الاقتصادي لولاية بغداد قد شهد انتعاشا ملحوظا في فترة ولاية مدحت باشا هناك و ذلك أكثر من أي وقت مضى، فقد مستأصلحاته الاقتصادية مختلف الجوانب بداية بتنظيم دفع الضرائب و الرسوم وإلغاء بعضها وصولا إلى تطهير نهر الفرات، كما أولى مدحت اهتماما بالغا بالمواصلات حيث أنشأ طرق برية وأوجد طرق بحرية كما طور وسائل النقل و التجارة من خلال جلبه السفن و إنشاء ترامواي الكاظمية.

ب - إصلاحات مدحت باشا الاجتماعية: وتمثلت فيما يلي:

¹ نفسه.

² جميل موسى النجار ،المرجع السابق،ص157 .

³ماري دكران سركو، دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني (1293هـ-1325/1876م-1908م)، ط1 ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010م، ص322.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

1-إنشاء مستشفى الغرباء بالكرخ: لقد شعر مدحت باشا بأن النهضة العراقية التي أخذت على عاتقه أن بغداد بحاجة إلى إنشاء مستشفى الغرباء فيها و لما كانت نفقات تشييد هذا المستشفى تتطلب مبالغ كبيرة تعجز عن توفيرها ميزانية الدولة عمل على شحن همّة الأهلي في بغداد للتبرع لهذا المشروع الإنساني و لقيت هذه الدعوة استجابة كبيرة لديهم حيث تهافتت عليه التبرعات من الوجهاء فشيّد بها مستشفى للغرباء بجانب منطقة الكرخ في الحديقة التابعة لوقف سليمان باشا¹ و لم تبقى هذه المستشفى على ما هي عليه وإنما أصابها تقلبات كثيرة أدت إلى إهمالها وفي عهد الوالي قدري باشا سنة 1295 هـ تقابلها سنة 1878م، قرر ترميم و إصلاح هذه المستشفى و قبول المرضى وبعد ذلك سنة 1920 م اتخذت مقرا للمجلس التأسيسي العراقي².

تأسيس المدن مثل مدينة الرمادي و الناصرية:

يرجع الفضل في ظهور مدينة الرمادي الصغيرة إلى مدحت باشا الواقعة على طريق مدينة حلب و منحها ثكنات عسكرية و مد خط التلغراف إليها و ماتزال القلعة التي بناها مقابل العانة تستقبل الحامية التي تشرف على قطع من وادي الفرات و طريق حلب موجودة بمظهرها الأخاذ حتى الآن³ و كان من أهم ما قام به مدحت باشا في إدارة العشائر انه أتى بالشيخ ناصر باشا السعدون المتربع على المشيخة و بقي في هذا المنصب مدة قليلة و عند قدوم الشيخ ناصر في 1286 هـ 1869م أبان له الوالي عن رغبته في تحويل المشيخة إلى متصرفة بالفعل مع بناء حاضرة في أرجاء المنتفق تسمى الناصرية باسمه و مما يعرف على منصور باشا السعدون وهو الأخ الأكبر لناصر باشا السعدون⁴ انه رآن تأسيس الناصرية سيؤدي إلى إضعاف المشيخة السعدونية و تقضي

¹ عبد الكريم العلاف، بغداد القديمة من عهد الوالي مدحت باشا إلى عهد الاحتلال البريطاني، ط2، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1999 م، ص34-35.

² نفسه.

³ ج ج لوريمر، المرجع السابق، ص2125-2126.

⁴ السيد عبد الرزاق الحسيني، العراق قديما و حديثا، ط3، مطبعة العرفان، صيدا، 1377 هـ 1958م، ص164-165.

عليها فعارض إنشاء هذه المدينة و لكن تحت تصميم أخيه و عزمه على تنفيذ مخطط الوالي مدحت باشا وافق على إنشائها إلا أنه اشترط أن تبنى على منخفض من الأرض لتفادي خطر مياه نهر الفرات حتى يتسنى للحكومة إذا أرادت بهم سوء أن تسلط عليها المياه و تقوم بإغراقها غير أن الوالي مدحت باشا كان بعيدا كل البعد عن التفكير في هذا الأمر¹، و اختط المدينة المهندس البلجيكي المسيو جول تلي فوضع الحجر الأساس لدار حكومتها سنة 1286هـ-1869م و بهذا وافق الوالي رغبته دون استعمال القوة فأسس بهذا البلدة وصارت مركزا للواء و حصنا للدفاع و الاحتماء فكانت مقدمة للاستيلاء النهائي على على المنتفق و إلغاء إمارتهم وبهذا صارت الناصرية قاعدة بلاد المنتفق وقد حكم فيها الناصر باشا من آل سعود ثم ولده فالح باشا ثم فهد باشا(والد صاحب الفخامة) عبد المحسن بك و أخيرا في أول إنشاء للحكومة العراقية كان متصرف الناصرية الكبير إبراهيم بك ابن مزعل باشا السعدون².

1- نشر الأمن و محاربة الخصوم:

كان رؤساء العشائر و زعماء القبائل يظنون أنفسهم في حرية تامة و استقلال إداري لاتعارضه سلطة و لا تقاومه حكومة فساق عليهم مدحت القوة و تمكن من ردعهم كما نظم إدارة البلاد و جعلهم يخضعون للدولة في كل مكان ووقت الأولى بالذكر هنا هي عشيرة المنتفق* فردها إلى الطاعة وهي أعظم عشيرة فأخذها مرة بالسيف و مرة أخرى بالسياسة و التسيير¹.

¹نفسه، ص165.

*باشا السعدون: هو فخامة المرحوم عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء الأسبق ، توفي في بغداد يوم 13 نوفمبر 1929م. ينظر: نفسه، ص274.

²عباس العزاوي المحامي، المرجع السابق، ص 273-274.

*عشيرة المنتفق: هي احد قبائل الطرق اختلف في التحديد بسبب التسمية فمن المؤرخون من يرى أن اتفاق عمائر المنتفق الثلاث بني مالك و بني سعيد الأجود كان سببا لهذه التسمية و ذكر ابن خلدون في مقدمته ج3 أن بني عامر المتفق قد خلفوا القبائل التي هزمت الفرس يوم ذي قار يحد لواء المتفق من الشمال الخط الفاصل بين أولوية الكويت و

-الإصلاحات العسكرية و الإدارية:

1 - الجيش و الأسطول:

واجه مدحت باشا في هذا المجال مجموعة من العقبات من بينها تهرب الناس من الجندية بسبب القسوة التي انتهجها الضابط في جميع الرجال و الجيش إضافة إلى طول مدة التجنيد التي تصل من 4-12 سنة ففي السابق كانت العشائر لا تتوانى في تلبية نداء السلطان إذ ما دعاها لقتال الفرس الهدف كان واضحا غير أنها كانت ترفض المشاركة في العمليات العسكرية التي لا تقودها شيوخ العشائر و رغم هذه العقبات إلا أن الجيش في عهد مدحت قد بلغ درجة كبيرة من القوة² و ذلك من حيث العدد و العتاد فقد اعتنى مدحت بإعداد ثكنات للجيش وورش للآلات في بغداد و المدن الكبرى و كانت أول ثكنة بنيت في العراق و الموصل على يد "انيجه بيرقدار" كما نشأ ميرخانه دار الحديد واستحضر لوازمها من أوروبا و كانت لإصلاح البنادق و معدات السفن ولكنها تستخدم استخداما حقيقيا إلا على يد مدحت فزودت قوات الضبطية بجانبها إلى الأسلحة النارية³

الصفوف العسكرية:

الديوانية و المنتفق و من الجنوب البادية الجنوبية و من الشرق لواء البصرة و العمارة و من الغرب لواء الديوانية
ينظر: السيد عبد الرزاق حسن ، المرجع السابق،ص163.

¹ عزرا سمويل ساسون ،المرجع السابق ،ص 56.

² عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا،(د ط)، دار الكاتب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة،1968م، ص389-390.

³ نفسه .

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

إن التنظيمات العسكرية كانت قد وضعت سنة 1259هـ و بمقتضاها كانت الصفوف العسكرية عبارة عن : النظامية و الرديفية و في سنة 1264هـ أعلنت للعموم و صدر فرمان يتضمن تقسيمها إلى:

- النظامية: مدتها 4 سنوات و هي إجبارية.
- الاحتياطية :وهي متفرعة من النظامية مدتها سنتان وهي عند الحاجة والا يطلق سراح الاحتياط.
- الرديفية :مدتها 6 سنوات
- المتحفظة: وهذه متشعبة من الرديفية و مدتها 8 سنوات

وقد قرئ الفرمان يوم الخميس 27 شعبان و صدرت خلاصته في جريدة الزوراء¹

إدارة الولايات:

لقد طبقت الإصلاحات الإدارية و العسكرية و المدنية في بغداد لأول مرة على عهد مدحت بعد أن طبقت بمدة طويلة في الولايات الأخرى فقد عم إلى إنشاء المجالس الإدارية و البلديات و طبق نظام الولايات الجديد بحذافيره فكما ذكرنا سابقا أن تمصير البلديتين الناصرية و الرمادي كان من صنع يده² فقد أصدر في تركيا عام 1864م، قانون بشأن الولايات يقضي بفصل السلطة القضائية عن الإدارة و انشأ محاكم انتخابية كما جلب السكان للمساهمة في الإدارة المحلية³ ، كما ينص على أن الوالي هو المسؤول عن الجهاز و يحمل لقب الباشا*.

¹ عباس العزاوي المحامي، المرجع السابق، ص 261.

² ستيفن هيمسلي لونكريك، المرجع السابق، ص 360.

³ فلاديمير لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديثة، (د ط)، دار الفارابي، بيروت، (د ت)، ص 161.

*الباشا: في الأصل هو لقب كبير أمناء العائلات التركية ثم أعطي لقباً للوزير و الوالي و نائبه، ينظر: محمود عامر، المرجع السابق ، ص 268.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

و معه فريق من أركان الولاية وهم الدفتر دار*النائب و المكتوبي*، و غيرهم من كبار موظفي الولاية وإقامة هؤلاء الموظفين في دمشق مركز الولاية ولعل الصلاحيات الممنوحة لهذه الفئة و سوء استخدامها دفع بمدحت إلى إبعاد المهملين و الفاسدين و منع استغلال الوظائف و الرشاوي فقام بتعيين بعض العرب في هذه الوظائف بسبب معرفتهم بالناس ولغتهم و أحوالهم¹.

يهدف مدحت باشا من وراء القيام بهذا الإجراء إلى خلق طبقة من الموظفين من بيئة عامة الشعب لكي يكون قريبا منهم و مطلعاً على مشاكلهم، و تعد هذه الخطوة قفزة نوعية في تاريخ الدولة العثمانية نحو التجديد، فتأثر مدحت بالثقافة الغربية و نمط عيشهم و كذا حكمهم دفع به إلى تطبيق مثل هذه الإجراءات داخل الدولة .

فالتشكيلات الإدارية أصلها من وضع السلطان سليمان القانوني* اجري اكبر إصلاح فيها غير أنها ثبتت على حالتها التي كانت عليها بالرغم من إصدار قانون نظام الولايات (قانون 1864 م) و لم تمضي مدة حتى صدر النظام المؤرخ في 29 شوال 1287هـ (22 يناير 1871م) في أيام مدحت فلم يحدث تبديل جوهري فهذا النظام بقي معمولاً به

*الدفتر دار : أي ممسك الدفتر و هي تتكون من كلمتين دفتر و دار بمعنى القابض على الدفتر وهو اكبر منصب للشؤون المالية في الدولة العثمانية و يقابله في الوقت الراهن وزير المالية و بعد نهاية أصبح لكل ولاية دفتر دار يقوم بتنظيم شؤون المالية في الولاية و قد كان الدفتر دار يرافق الصدر الأعظم دائماً و يحتفظ بسجلات الأراضي و توزيع الإقطاعات، ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص113-114.

*المكتوبي:وهو موظف كبير في الولاية و عضو دائم في مجلس إدارة الولاية يحكم منصبه يعين من قبل الحكومة المركزية في استانبول ينظر: جميل موسى النجار،المرجع السابق، ص 194.

¹كاظم حسن جاسم الأسري، مدحت باشا واليا لسوريا 1878-1880م، مجلة جامعة كربلاء العلمية، قسم التاريخ بجامعة كربلاء ، مج:7، ع2، 2009م، ص287.

* سليمان القانوني: هو رجل دولة عثماني الابن الوحيد للسلطان سليمان الأول، وخليفته ، والذي امتدت ولايته من 1520م حتى 1566م، اشتغل كحاكم لإقليم في القرم أثناء حكم جده بايزيد الثاني ولمنطقة أخرى في غرب آسيا الصغرى أثناء ولاية والده سليم الأول ولقب بالقانوني نظرا لما ادخله من تعديلات ضرورية على القوانين السائدة في دمشق، حيث جعلها أكثر تماشياً مع روح عصره، ينظر: عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ص233، 234.

ثم عدل الباب الثاني منه بالقانون الوقتي المؤرخ 18 ربيع الآخر 1330هـ/04 يونيو 1912 م و استمر العمل به إلى غاية احتلال العراق¹. و العراق مقسم إلى ثلاث ولايات:

- 1- البصرة و أولويتها: نفس البصرة و أقضيته: القرنة، المنتفق، العمارة، نجد.
- 2- الموصل و تضم: نفس الموصل، العمادية، زاخو، سنجار، دهوك، عقرة، كركوك.
- 3- لواء السليمانية: وأقضيته: كلعنير، البازيان، شهر بازار، قره طاغ، مركه، قضاء الجاف.²

-الإصلاحات الثقافية:

عناية مدحت بالثقافة والتعليم:

ومن ابرز المجالات التي برز فيها مدحت من أسلافه من الولاة في العراق هو في الميدان الثقافي و التعليمي و كان الولاة من قبله لا يهتمون كثيرا بإدخال النظم التعليمية الحديثة التي كانت مستخدمة في الأستانة منذ وقت ليس بالقصير فعنى مدحت بإنشاء المدارس الحديثة التي تخدم بيئة العراق و حاجته بصفة خاصة و على يد مدحت أنشأت أربع مدارس وهي:³

1-المدرسة الرشدية العسكرية: وهي أول مدرسة أقامها في عام وصوله إلى بغداد وهي تعد الطالب لكي يلتحق بالمدرسة الإعدادية ليصبح بعد ذلك ضابطا في الجيش العثماني.

2- المدرسة الرشدية الملكية المدنية: لتخريج الموظفين التي باشرت تدريباتها في عام 1870م.

¹عباس العزاوي المحامي، المرجع السابق، ص 194 .

²نفسه، ص 194-195.

³عبد العزيز سليمان نوار ،المرجع السابق، ص 382 .

3- المدرسة الإعدادية: وامتازت بأنها كانت مجانية وداخلية¹.

4- مدرسة الصنائع: في سنة 1286 هـ/1869م أسست للأيتام المسلمين الذين لا معيل لهم يتعلمون صناعة التجارة والحدادة والنسيج وغيرها وعين لها أساتذة وظلت هذه المدرسة قائمة إلى غاية احتلال بغداد سنة 1917م².

انحصر التعليم في الولايات العربية في تلك الفترة وما سبقها خاصة في العراق على التعليم الديني في المساجد عن طريق حفظ القرآن الكريم وتلاوته أما في عصر التنظيمات أصبح للدولة سياسة تعليمية ذات أهداف مسطرة وهذا ما عكسته فترة تولي مدحت باشا الحكم في ولاية بغداد.

2- المطبعة وجريدة الوزراء:

صدرت في عهد مدحت أول صحيفة في تاريخ العراق و حملت اسم الزوراء واستورد لها الآلات الحديثة للطباعة و قد صدر العدد الأول لها يوم الثلاثاء الموافق ل5 ربيع الأول سنة 1286هـ/15 حزيران³ 1869م، كانت تنقل لقراءها ما يهم من أخبار ولا يتهم بالدرجة الأولى ، ثم أخبار الولايات الأخرى و بعض ما يجري في الولايات العثمانية و قد دأبت هذه الجريدة الرائدة منذ أول صدور لها حتى احتجاجها عشية الحرب العالمية الأولى على نشر أخبار التبادلات الإدارية في ولاية بغداد و خاصة الولايات العراقية في بعض الأحيان و هي تمثل تاريخ نصف قرن للدولة العثمانية⁴.

وفي الأخير يمكن القول أن مدحت باشا لم يكن واليا عاديا شأن الولاة الأتراك الذين حكموا العراق ففي فترة حكمه القصيرة 3 سنوات أجرى فيها مدحت إصلاحات

¹أنور علي الحبوبي، دور المتقنين في ثورة العشرين، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، بغداد، صفر 1410هـ، أيلول، 1989م، ص13.

²عبد الكريم العلاف ، المرجع السابق، ص24-25.

³أنور علي حبوبي ، المرجع السابق، ص14.

⁴عماد عبد السلام رؤوف، الأسر الحاكمة رجال الإدارة و القضاء في العراق في العهود المتأخرة (656هـ- 1337هـ/1258م-1918م)، (د ط)، جامعة بغداد ،كلية التربية الأولى، بغداد ، 1992م، ص17.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

جذرية شكلت نقطة تحول ليست ببسيطة في تاريخ العراق الحديث و أرست أساس متينا لما حدث من تحولات بنيوية و من الممكن القول أن مدحت استطاع تغيير تاريخ العراق بإصلاحات إدارية و اجتماعية وثقافية أدخلت العراق في تاريخ المدينة الحديثة و مع محدودية ثقافة مدحت باشا وانبهاره بمظاهر المدنية الأوروبية إلا أن خبرته و ثقته الكبيرة بنفسه و طموحه اللامحدود و شغفه بالتحديث دفعه إلى تقليد عناصر المدنية الحديثة واقتباس ملامحها، في زمن كان العراق تحت وطأة ركود اقتصادي و تخلف اجتماعي وثقافي منذ تفكك الدولة العربية الإسلامية و انهيار الحضارة في بغداد على يد السلاجقة و المغول*.

*المغول: اسم أطلق على بعض القبائل القاطنة في آسيا الصغرى وفي الاصطلاح أطلقه العثمانيون على سعاة البريد. ينظر: حسان الحلاق، عباس الصباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية والمصطلحات الإدارية العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعائلية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م، ص50.

المطلب الثاني: حملة مدحت باشا على منطقتي الأحساء و نجد في 1871:

في عهد السلطان عبد العزيز الممتد من (1299-1271هـ/1861-1876م) وبعد نهاية حرب القرم* أعاد العثمانيون بناء جيشهم من جديد و بدأوا بإخضاع المناطق الخارجية التابعة للخلافة العثمانية خاصة في شبه الجزيرة العربية فضاغفوا حامياتهم في الحجاز و أرسلوا حملة إلى اليمن و أخرى إلى الأحساء¹ و التي هي موضوع دراستنا:

إن حملة مدحت في منطقة الخليج تعد جزءا من خطته العامة العثمانية، للسيطرة على سواحل شبه الجزيرة سواء في الخليج العربي أو في البحر الأحمر حتى تحفظ لنفسها مكانا ممتازا في مجال خطوط التجارة و المواصلات العالمية في ظل الظروف التي رافقت فتح قناة السويس فقد كان في الخليج قبل هذا مجموعة من الإمارات عقدت معاهدات مع بريطانيا و أصبحت أمورها بيد الانجليز و هي ، البحرين و إمارة الساحل و مسقط وإلى² جانبها في داخل شبه الجزيرة إمارة آل سعود المسيطرة على نجد و الأحساء و إلى الشمال منها إمارة جبل شهر و عاصمتها في حائل، و سعت إنجلترا في المحافظة على الإمارات التي تعاهدت معها و هذا في ظل رفض من شيوخ هذه الإمارات فقد امضوا مع بريطانيا معاهدة سنة 1820 م، و كانت لهم رغبة كبيرة في التخلص منها و أصبحت بهذا

* حرب القرم: جرت بين عامي 1845 - 1858م بين روسيا و الدولة العثمانية حيث وقفت فرنسا إلى جانب العثمانيين فيها، ينظر : يوجين روجان، العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، تر: محمد إبراهيم الجندي، ط 1 ، كلمات عربية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2001م، ص124.

¹ محمد عبد الله السلمان، دخول الملك عبد العزيز الأحساء أسبابه و نتائجه، (1331هـ-1913م)، (د ط)، إصدارات نادي الأدبي، الأحساء، 2010م، ص16.

* الأحساء: تعتبر الأحساء من المناطق المهمة في المملكة السعودية، تقع في الركن الشمالي الشرقي من شبه الجزيرة العربية بين دائرتي عرض 17 و 26 و خطي طول 55.48. بمساحة تقدر بـ 530 ألف كلم، يحدها من الشمال الكويت و من الجنوب قطر و الصحراء جاقورة و من الشرق الخليج العربي و من الغرب صحراء السمان، و كانت تشكل الجزء الأكبر من إقليم ممتد على الشاطئ الغربي للخليج العربي أطلق عليها اسم البحرين لمدة طويلة من الزمن في بداية الفتح الإسلامي أشهر أسمائها هي: العدن، الهجر ، الخط ، البحرين ، حجاز ، الأحساء، حسا. ينظر: حسين مخيف عبد الحسن الشريعي، إقليم الأحساء : دراسة في أوضاعه الداخلية ، مجلة مركز بابل، ع 1 ، حزيران 2011 م، ص124.

² عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص395.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

المنطقة محل أطماع خارجية خاصة بريطانيا و فرنسا¹ وهذا ما عزز طموح الدولة العثمانية لبسط نفوها هناك و يرجع ذلك إلى جملة من الأسباب وهي:

أ - الأسباب المباشرة:

- الصراع بين آل سعود: و يعد هذا من الأسباب الهامة للحملة فبعد وفاة الأمير فيصل سنة 1284 هـ ترك ابنه الأمير محمد حاكما على المنطقة الشمالية و ابنه الآخر سعود أميرا على الخرج و الأفلاج و ابنه عبد الله، أميرا في منطقة الرياض و كان ولده الصغير الأمير عبد الرحمن بجانب أخيه الأمير عبد الله ، تولى الإمارة عبد الله غير أن أخاه سعودا عارضه و استولى على الإحساء قبل وصول المساعدة لنصرة أمير الإحساء فأدى إلى قيام معركة طاحنة بين الأخوين عام (1288هـ-1870م) و كانت خسارة الطرفين كبيرة لا سيما أضرار الأمير عبد الله².

وفي السنة التالية استولى سعود على الرياض كما بدأ بمحاولات للسيطرة على نجد أما الأمير عبد الله فقد توجه إلى أمير حائل و استجد به كما توجه برسالة في نفس الوقت الى حاكم بغداد يطلب منه المساعدة في الحرب ضد أخيه الذي اغتصب منه الملك (الرياض)، فوعد الوالي بتقديم المساعدة³.

2 - الأسباب غير المباشرة:

- محاولة والي بغداد (مدحت باشا) تعويض البلاد عما فقدته في إقليم البلقان، فضلا عن محاولته مجابهة الانجليز انطلاقا من ثقته بتجارب أهالي المنطقة في المعارك.

- بروز منطقة الخليج بصفة عامة كمنطقة إستراتيجية للملاحة و التجارة الدولية و ذلك بعد فتح قناة السويس في 1869م.

¹ نفسه ، ص 395-396.

² عباس العزاوي المحامي، المرجع السابق، ص 295-296.

³ محمد سعيد المسيلم، ساحل الذهب الأسود: دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة الخليج العربي ، ط2 ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (د ت) ، ص 189.

الفصل الأول: أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

- قوة الجيش العثماني و جاهزيته لخوض المعارك بسبب قيام التنظيمات الحديثة في أوروبا من جهة و كسب الخبرة في حرب القرم من جهة أخرى.
- رغبة الدولة العثمانية في القضاء على النفوذ الاستعماري الأوروبي وفي مقدمته النفوذ البريطاني في محاولة منها لإحياء الخلافة الإسلامية¹.
- موقف الانجليز من الحملة:

لقد كانت استعدادات مدحت باشا تجري في سرية تامة و بسرعة فائقة وعلى عكس ماكان مع الولاة العثمانيين و قد حذر مدحت باشا من تسرب معلومات الحملة من خلال منع وصول الأخبار للقنصل الانجليزي في ولاية بغداد و قد كانت السلطات البريطانية قد علمت بها في أواخر عام 1870م، من خديوي مصر في تلك الفترة (إسماعيل باشا)،الذي أرسل إليه عبد الله بن فيصل* برسالة يطلب فيها منه أن يتوسط له لدى الباب العالي لمساعدته على استعادة الحكم فراسل عبد الله إسماعيل باشا و قد تضمنت رسالته²، معلومات حول أن السلطات البريطانية في الخليج تطمح في الاستيلاء على المراكز الهامة على ساحل الأحساء كالدمام*والقطيف مشيرا إلى أن السلطاتالبريطانية قد عرضت عليه دعمها و عندما رفض أقدمت على مساعدة أخيه سعود، وبالفعل انطلقت حملة مدحت³.

¹ عبد القادر محمود القحطاني، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر ،ط1، مطابع رينود الحديثة للمجلس الوطني للثقافة و الفنون و التراث، (د م ن) ، 2008م ،ص12.

² السيد رجب حراز ،الدولة العثمانية و شبه الجزيرة العربية(1840- 1999 م)، (د ط)، معهد البحوث و الدراسات العربية، القاهرة، 1970 م ص81.

*الدمام: تقع على الساحل على بعد 9 أميال جنوب شرق مدينة القطيف على جزيرة صخرية قريبة من اليابسة. ينظر الى ج ج لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج5، إعداد قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، مطابع علي بن علي، (د د ن)، (د ت)،ص1881-1882.

³ السيد رجب حراز ،المرجع السابق، ص81.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

بدأت الحكومة البريطانية تشعر بالخوف المتزايد بسبب النجاح الذي حققته الحملة العثمانية على نجد و مما زاد من تخوفها هو أن الدولة العثمانية لم تقتصر في الحملة على استخدام القوات البرية فحسب بل أيضا استخدمت القوات البحرية هذا ما عدته بريطانيا تحديا خطيرا لسيادتها البحرية في منطقة الخليج العربي فضلا عن ذلك أن بريطانيا قد علمت عن سفيرها السير هربرت القنصل البريطاني في بغداد في عام 1871م، والذي أعد تقرير أن الدولة العثمانية عازمة على أن تسيطر على كل من البحرين وعمان، بعد أن تحكم سيطرتها على نجد¹. ثم توجه هربرت بطلب لمدحت باشا بأن يتجنب الاشتباك مع الإمارات و العشائر المتعاهدة مع بريطانيا، فرد عليه مدحت ردا دبلوماسيا قائلا: "انه لن يتدخل في شؤونها إذا لم تكن تحت حكم عبد الله من قبل و انه سيعتبر من يؤيد سعودا عدوا للدولة العثمانية"، وهكذا أصبحت واسعة النطاق بعد الإعلان الرسمي الذي أصدره مدحت بشأنها، الذي حدد هدفها بإعادة عبد الله القائم مقام* نجد إلى الحكم والقضاء على الصراع بين الإخوة آل سعود² ثم أكد هربرت لحكومته إن مدحت باشا قد أبدا رغبته بوضوح في السيطرة على البحرين فتبادلت الحكومتين المذكرات وتصادعت حديثها إلى أن وصلت إلى مراتب عليا في الأستانة³، و قد عمدت أيضا إلى تعزيز إمكانياتها البحرية بعدد من السفن المتنوعة بعد أن تأكدت من رغبة الدولة العثمانية في ضم البحرين كما قامت بريطانيا بتكثيف إجراءاتها لحل المسألة سلميا دون اللجوء إلى القوة العسكرية، و كان هدفها من وراء ذلك هو منع أي اشتباك

¹ محمود شاكر ،موسوعة التاريخ العربي، (د ط)، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، 2003م، ص404.

*القائم مقام: هو اكبر موظف إداري في الوحدة المعروفة باسم القضاء ، وهو الوزير المباشر المتصرف للسنجق و يعين من طرف الحكومة المركزية إسطنبول و يكون القائم مقام مسؤولا عن الأمور المدنية و المالية و الأمنية و تنفيذ أوامر الدولة و تعليماتها التي ترده من متصرفة السنجق التابعة له ، ينظر : جميل موسى النجار ، المرجع السابق، ص210-211.

² عبد العزيز سليمان، المرجع السابق، ص 422-423.

³ نفسه، ص 422-423.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

عسكري يهدد سيادتها في الخليج العربي¹، وقد سارعت وزارة الخارجية البريطانية إلى تزويد سفيرها في الأستانة بنسخ من الاتفاقيات المبرمة مع شيوخ القبائل في الخليج ،و طلبت أن يطلع الباب العالي عليها ليكون على علم بها و طلبت إليه أيضا أن يتوجه إلى الباب العالي و يخبره أن بريطانيا تتوي أن تلزم الشيوخ بهذه التعهدات².

وقبل بدء الحملة العثمانية قام المقيم البريطاني بطلب من حكومته كإجراء استثنائي ،إرسال سفينة حربية واحدة للخليج لكنها رفضت لكي لا يفرض عليها تدخل بحري يضر بمصالحها فوجود سفينة حربية سيحسم أي موقف ستشهدها المنطقة وعلى الرغم من حصول بريطانيا على العديد من التطمينات من قبل الدولة العثمانية، غير أن مخاوف بريطانيا ازدادت ذلك أن الدولة العثمانية سبق لها أن أكدت للسفير البريطاني في اسطنبول عدم اعتزام الدولة القيام بالحملة إلا قبل ثلاثة أشهر ومع ذلك نفذت الحملة قبل ذلك³.

يتضح لنا في الأخير أن منطقته الخليج العربي خاصة الإحساء منها كانت احد بؤر الصراع البريطاني العثماني، إذ كانت بريطانيا متخوفة من التوسع العثماني هناك وهذا صحيح باعتبار أن هدف مدحت الثاني بعد السيطرة على الإحساء هو جزر البحرين ،نظرا لأهميتها التجارية وعلى الرغم من احتجاج بريطانيا على الوجود العثماني في البحرين غير أن والي بغداد كان يصر على أنها تابعة لمتصرفية الإحساء.

-تخطيط مدحت باشا لسير الحملة:

سعى مدحت باشا لأحكام قبضته الحكومة على الإمارات في منطقة الخليج ،التي لم ترتبط بعد بنفوذ الإنجليز، وبدأ نشاطه في هذا الصدد بالكويت فأنشأ فيها جمرك كجزء من خطي لإدخال الإدارة العثمانية فيها واسند منصب القائم مقام إلى صباح الثاني، ويقال أن مدحت قد أعفاه أيضا من الرسوم الجمركية والضرائب،ولما أقدم مدحت على هذا الفعل

¹محمود شاكر، المرجع السابق، ص410.

²السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص85.

³محمود شاكر، المرجع السابق، ص406.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

ليحفف على أهل¹، الكويت من الالتزامات المالية كي لا يعودوا إلى التعامل مع الدول الأجنبية، وقد اضطر مدحت إلى إتباع هذه السياسة لحاجته إلى هذه المشيخة لتنفيذ مخططاته في الخليج فمدحتي قدر قوة الأسطول الكويتي و الدبلوماسية الكويتية لمساعدته على تثبيت السيادة العثمانية في الخليج العربي ،لأن نفوذ شيخ الكويت كان كبيرا في المنطقة²وكما ذكرنا سابقا فان منطقة الحجاز ونجد في هذه الفترة كانت محل نزاع بين أولاد فيصل الذين تنافوسوا على السلطة لمدة ربع قرن حكم فيها عبد الله 6 سنوات 1875-1881م، و ثار عليه أخوه سعود فاستولى على الإحساء بدعم من البحرين وبريطانيا، فأضطر عبد الله إلى الهروب واستجد بمدحت باشا³مدعيا أن أخاه عميل للإنجليز، واعد مدحت باشا عدة للإنجاح هذه الحملة التي كان قوامها 4000 آلاف من الجنود النظاميين 1500 من العشائر⁴، كما زودت الحملة أيضا بتسعة مدافع ميدان وحملت السفن الحربية العثمانية عدد كبير من الجنود الأتراك وتقدم الفرسان العرب عن طريق البر، ويظهر أن نقطة التجمع كانت الكويت التي أعدت هي الأخرى أسطولها البحري وكثير من الفرسان ليتجهوا الى نقطة التلاقي البرية و البحرية في الإحساء⁵.

أبحرت تلك القوات بصحبة الفريق نافذ باشا*، وشيخ الكويت عبد الله صباح (حاكم الكويت آنذاك) فريق المشاة سار برا بقياده شيخ الكويت ورافقه قطاعات الجيش

¹ عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص405.

² نفسه، ص405-406.

³ مفيد الزبيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني، (د ط)، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان ، 2004م، ص208-209.

⁴ علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث من سنة 1831م إلى 1872م ، ج2، (د ط)، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1971م ، ص253-254.

⁵ احمد مصطفى أبو حاكم، تاريخ الكويت الحديث، (1163- 1385هـ) (1750م-1960م) ، ط1 ، ذات السلاسل، الكويت، 1984م، ص251.

* نافذ باشا: هو محمد محمد نافذ باشا قائد الحملة العثمانية على نجد و الإحساء عام 1288هـ/1871م و اختير متصرفا على الإحساء براتب قدره خمس عشرة ألف قرش شهريا إضافة إلى كونه قائد للقوات العسكرية الموجودة في المتصرفية وفي عام 1305هـ/1887م عليين واليا على البصرة ، ينظر: سعدية سعيد البشي، وثيقتان عثمانيتان حول التنافس العثماني الإنجليزي على الساحل الغربي للخليج العربي أوائل القرن الرابع عشر، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة و الدراسات الإسلامية ، ع 52، مكة المكرمة ، ربي الآخر 1431هـ ، ص225.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

ومتطوعي المنتفق وقد وصلت الحملة في 13 ماي 1871م، إلى أول محطة إنزال حسب مخططها وكانت المحطة في رأس تنور وبدأت عمليات الإنزال في اليوم التالي وعلى الفور بدأت القوات تزحف إلى القطيف لكي تلتقي مع الجيش وصلت تلك القوات إلى القطيف يوم 26 ماي 1871م¹. فرفض قائد حامية هذه المنطقة التسليم فاجتاحت القوات العثمانية المنطقة بهجوم بحري قام به أسطول الكويت وآخر بري قام به الجيش العثماني، وسقطت المدينة بعد أن أمطرتها القوات المحاصرة لها بالقنابل ولم تدم معركة القطيف سوى 3 ساعات وكان سقوطها يوم 3 يوليو وقد تلى نافذ باشا قائد الحملة على سكان المدينة إعلان جاء فيه ما يلي²:

• تعتبر نجد جزء من الإمبراطورية العثمانية تماما كما هو الحال في كل من العراق واليمن ومصر.

• أن سبب هذه الحملة هو تمرد سعود على أخيه عبد الله المعين كقائم مقام عثماني على المنطقة وأن الهدف من الحملة هو إعادته للسلطة.

• سيصدر عفو عام عن سعود وإتباعه إذا استسلم واعتذر عما بدر منه من سوء التصرف.

إذا رفض سعود الاستسلام فستقوم القوات العثمانية بتدمير مع إتباعه وكل من يقدم له المساعدة³.

نستنتج هنا أن مدحت باشا لم يكن شخصية إصلاحية متأثرة بالأفكار الغربية فحسب إنما هو أيضا شخصية ذات أبعاد عسكرية، إذ يعد قائدا عسكريا محنكا أدرك أن نجاح حملته على الإحساء لا يقتصر فقط على القوى العسكرية وإنما أيضا على كسب الدول تكون مؤيدة وداعمة للحملة قريبة جغرافيا وثقافيا من المنطقة المستهدفة، هذا ما ساعده على أن يحكم قبضته على الإحساء.

وفتح العساكر البلاد بلا حرب و لا مشقة، وضبطوا القلاع الموجودة في كامل البلاد وتحركت الحملة من القطيف متوجهة إلى هفوف* و مبرز*، و قبل وصولها هرب

¹ محمد عرابي نخلة تاريخ الإحساء السياسي، ذات السلاسل، الكويت، (د ت)، ص 86.

² أحمد مصطفى أبو حاكم، المرجع السابق، ص 251.

³ محمد علي نخلة، المرجع السابق، ص 86.

الفصل الأول : أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

سعود مع أعوانه منها، فاستولى عليها رجال الحملة دون إراقة قطرة دم واحدة، و دون كفاح وانتهت بهذا مسألة نجد من الواجهة العسكرية¹، و في أواخر عام 1871م، غادر مدحت بغداد قاصدا الإحساء للقيام بجولة تفتيشية فيها، و انتهز بهذا فرصة وجوده هناك واستبدل الموظفين والإطارات كما استبدل المرضى من حامية الإحساء رجالا أصحاء من بين الجند اللذين اصطحبهم معه من العراق و أعلن أن الإحساء و المقاطعات التابعة لها باسم متصرفة نجد²، و قسم مدحت الإحساء الى ثلاثة أقضية:

الهفوف والقطيف و قطر، و جعل من الهفوف مقرا للحاكم العثماني أو الباشا المتصرف و كان لهذا الباشا قائمقام في كل من قطر و القطيف ، علاوة على ذلك فقد وضع مدحت حامية عثمانية في كل من الهفوف و القطيف و العقير و بدغة³.

بقي مدحت في الإحساء أربعين يوما تفقد فيها أنحاء البلاد ثم عاد إلى بغداد وكتب له السلطان عبد العزيز رسالة يشكره فيها عما فعله هناك و أهدى إليه سيفاً مرصعاً كما كتب له أيضاً أمين عالي باشا بخط يده كتاباً قال فيه مايلي:

أن نجدا ستكون جنة تجري من تحتها الأنهار كمصر بهمتكم في زمن قريب⁴ وقد هرع الشعراء إلى نظم القصائد و الأبيات كالعادة و ذلك في مدح مدحت باشا و تهنئته على السيف المرصع و من بينهم محمد أمين العمري الذي جاء بيت قصيدته الأخير كالتالي:

*الهفوف: هي عاصمة سنح الإحساء الإدارية الطبيعية و تقع في الركن الجنوبي الشرقي من واحة الحساينية على بعد أربعين ميل إلى الجنوب الغربي من ميناء العقير، تقع في منطقة صخرية منخفضة و ترتفع قليلاً عن المناطق المجاورة لها. ينظر: لوريمر، دليل الخليج القسم الجغرافي، ج2، (د ط)، مطابع علي بن علي، الدوحة، (د ت)، ص935.

*المبرز: تأتي مدينة المبرز في المرتبة الثانية بعد الهفوف في واحة الحسا تبعد عن الهفوف مساحة ميلين من جهة الشمال تحدها من الجانب الغربي الصحراء و تحيط بها المزارع من الجوانب الثلاث الأخرى و تتكون من خمسة أحياء، ينظر: ج ج لوريمر، دليل الخليج القسم الجغرافي، (د ط)، مكتب صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، قطر، (د ت)، ص1575، 1576.

¹ مدحت باشا، المصدر السابق، ص176.

² السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص66.

³ السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص66.

⁴ علي الوردي، ج2، المرجع السابق، ص254-255.

وقد جد رأس البغي إذ قيل أرخوا* *أتاك من الخاقان سيف مرصع¹

يتضح لنا من خلال سرد الأحداث أن رغبة مدحت في بسط سيطرته على منطقة الخليج لم تكن وليدة الحاضر، وإنما منذ أن ولي العراق فقد تهيأ لهذا الأمر أكثر من أي وقت مضى ووضع خطط موضع التنفيذ، فمدحت كان يدعم فكرة بسط الأستانة سيطرتها على المناطق التابعة لها اسمياً تعويضاً لها عن الخسائر التي لحقت بها في البلقان وكان يرى أيضاً أن تحقيق الانتعاش الداخلي للدولة لا يتم إلا بضم ممتلكات جديدة إليها ناهيك عن رغبة مدحت الشديدة في ضرب نفوذ الانجليز في الخليج هذه المطامح التي سعى إليها مدحت وجدت حيزاً لتحقيق ما كان يطمح إليه مدحت باشا فتبدد حلم الإمام عبد الله الذي كان يعتقد أن والي بغداد سوف ينسحب من المنطقة عقب التخلص من أخيه سعود خالد فأضطر إلى الفرار حفاظاً على حياته.

انصف الحكم العثماني للإحساء منذ بدايته بالطابع العسكري فبعد مرور عامين منه وجد العثمانيون صعوبة بالغة في السيطرة عليها، وبدأ السكان يتذمرون و يشتكون من سوء المعاملة التركية لهم، وإثقالهم بالضرائب الباهظة فقد كان تعسف الموظفين العثمانيين في حق سكان منطقة الإحساء و الخليج واضحاً، فأدى هذا الوضع إلى حدوث انتفاضات متعددة قام بها قبائل الإقليم مثل انتفاضة الأمير عبد الرحمن² و في 1874م و ذلك في منطقة الهفوف غير أن ناصر باشا أسرع بالزحف صوب الإحساء و نجح في إنقاذ حامية الهفوف المحاصرة و القضاء على ثورة عبد الرحمن ثم عاد بعد ذلك إلى البصرة³.

- دور الكويت في حملة مدحت على الإحساء (1871-1873م):

إن الكويت كانت أقرب الإمارات العربية من لممتلكات الدولة العثمانية في أقصى شمال شرق الجزيرة العربية، إلا أنه ليس هناك ما يثبت أي نوع من التبعية الرسمية، غير أن المستوطنين الأوائل عملوا على تأمين مركزهم و نفوذهم في المنطقة و لن يكون هذا إلا بتقديم نوع من الولاء للسلطان العثماني، و الذي كانت سيادته الروحية قد بسطها على

¹عباس الغراوي، مرجع السابق، ص 266 .

²حسن مخيف عبد الحسن الشريفي ، المرجع السابق ،ص 129.

³السيد رجب حراز ، المرجع السابق ،ص 166-167..

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

كامل مناطق الجزيرة العربية، على نحو ما يحظى به في مناطق الوطن العربي الأخرى
لقد كانت علاقة الكويت بالدولة العثمانية تعمل في اتجاهين رئيسيين هما:¹

- الاتجاه الأول: الوقوف في وجه الدولة العثمانية و ذلك في الأمور التي تخص استقلالية الشيوخ و سيادتهم.
- أما الاتجاه الثاني: هو مساندة الدولة العثمانية و تدعيم نفوذها في المناطق التابعة لها.²

هذا ما أوردته الروايات المحلية الكويتية و كذلك السجلات التاريخية المعاصرة لاسيما الإنجليزية منها، عن أنباء مساهمة الكويت في هذه الحملة لعام 1871م، وفي وضوح يعكس الدور الكبير الذي لعبته الكويت فيها، و بالتالي في تاريخ شرق الجزيرة العربية³، فقد تطوعت الكويت من خلال اشتراك شيخها الذي قاد القوات الكويتية بنفسه عن طريق البحر مرافقا للقائد العثماني نافذ باشا وذلك من أجل التخلص من الأمير سعود على السواحل المحاذية للكويت من جهة و تقوية العلاقة مع العثمانيين من جهة أخرى أما أخ الشيخ قد توجه إلى منطقة الإحساء برا على رأس قوات كبيرة تتألف من أهالي الكويت وعشائرها، و قد ساهمت الكويت بأكثر من ثمانين سفينة من سفنها يتم استخدامها في هذه الحملة⁴، و لعل الأسباب الحقيقية وراء دعم الكويت لحملة مدحت باشا أن شيخها كان يدرك أن الانجليز خطر يهدد الإسلام ووجب التحالف مع الدولة العثمانية لحماية البلاد مما يكيد أعداء الإسلام ، و لعل أيضا الخطوة التي قام بها مدحت و المتمثلة في إقدامه على تقديم إعفاءات ضريبية للكويت ساهم بكثير في دعم هذا التعاون بالإضافة إلى أن تعاونها مع مدحت و قبول عروضه بسرعة كان له العديد من الأسباب الاقتصادية، فقد عرف عن آل صباح أنهم من ذوي الممتلكات الكبيرة في العراق⁵، وإذ كانت من ضمن الأوراق التي استخدمها نامق قائد الحملة للضغط على الكويت إضافة إلى أن شيخها كان

¹ محمد حسن العيدوس، تاريخ الكويت الحديث و المعاصر، (د ط) ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، 2002م، ص108.

² نفسه.

³ أحمد مصطفى أبوحكمة، المرجع السابق، ص253- 254.

⁴ محمد حسن العيدوس، المرجع السابق، ص108.

⁵ عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص406.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

يدرك أن مدحت باشا لم يتوانى عن مهاجمتهم إذا ما وقفوا في وجهه، وبهذا يتضح لنا الأسباب الحقيقية التي كانت وراء هذا التعاون في الحملة ، بعث بها مدحت إلى ساحل الإحساء في 1871م، فوضع الشيخ أسطوله و رجاله ليعملوا تحت اللواء العثماني و هذا لم تقدمه أي إمارة عربية في الخليج¹.

وفي الأخير نستنتج أن مدحت باشا كان يهدف من وراء قيامه بحملة على الإحساء إلى تقوية النفوذ العثماني و بسطه على منطقة الخليج، و بفضل حنكته و دهائه استغل فكرة صراع آل سعود حول السلطة لينجح حملته هناك، مستغلا بهذا علاقته الجيدة بشيخ الكويت منذ أن كان واليا على العراق فزود الشيخ القوات العثمانية بالسفن والأسلحة، و جعل الكويت نقطة التقاء القوات البرية و البحرية العثمانية ومن خلال العرض سيتضح لنا أن حملة مدحت باشا على منطقة الإحساء انطوت على إيجابيات كثيرة، أهمها أن الدولة العلية قد أحكمت السيطرة على العديد من المناطق في الخليج مثل: نجد و البحرين... الخ و كسبت أيضا حلفاء لها في المنطقة لكن لا يمكن أن نغفل بأن مدحت قد قاد الدولة نحو الدخول في صراع مع بريطانيا، التي كانت تسعى للمحافظة على الإمارات التي وقعت معها معاهدات حماية في منطقة الخليج.

المطلب الثالث: إعلان الدستور أو القانون الأساسي 1876 م:

مع بداية عصر النهضة وتغلغل الأفكار التحررية والديمقراطية إلى داخل الأراضي العثمانية ، أخذ الشباب المثقف أترك وعرب اللذين تأثروا بثقافة الغرب و حياته الجديدة يدعون إلى مجارته في منهجه، باحثين عن إقامة الحياة الدستورية التي تحفظ البلاد من التشتت وكذا الاستبداد، و بالفعل فقد برزت في منتصف الستينيات من القرن التاسع عشر حركة إصلاحية عرفت باسم الشباب العثماني أو العثمانيون الجدد، بزعامة مدحت باشا المعروف (بأبي الأحرار)²، الذي على الرغم من قرار عزله من قبل الباب العالي المعارض

¹ نفسه.

² منذر معاليقي، معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية، مر: ياسين الأيوبي، (د ط)، دار اقرأ، بيروت، (د ت)، ص 38.

لخطواته الإصلاحية الإدارية والاجتماعية و الاقتصادية التي جسدها عندما عين واليا على بغداد في الفترة ممتدة من 1869-1872م، فقد بقي يستحوذ على تأييد العديد من الفئات في المجتمع التي كانت تطمح للتجديد والتحرر من كل ما هو قديم و لذلك دعمت موقف مدحت¹. في هذه الفترة من عام 1861م، كان السلطان عبد العزيز هو من يتولى العرش امتاز عهده بكثرة الإسراف و غياب الكفاءة لدى كبار رجال الدولة، مما جعل حكمه لا يطاق²، وقد تمكنت هذه الفئة بتأييد و دعم مدحت باشا المدعوم هو الآخر من دول أوربية أن تقوم بانقلاب عام 1876م، على هذا السلطان، الذي وجد ميتا بعد تبليغه خبر الانقلاب بوقت قصير، وعين بعده ابن أخيه السلطان مراد الخامس، الذي شيع عليه بأنه سكير و يعاني من اضطرابات و تمت إقالته أيضا بعد ثلاثة أشهر³.

نستنتج من خلال هذا العرض، أن الرغبة في الإصلاح و التجديد ليست مجرد طموح تسعى إليه مجموعة من الشباب في الدولة العثمانية فقط ،بل هو واقع يتطلع إليه العثمانيون في الوقت الذي تخوض فيه الدول الأوروبية تجارب السيادة بطريقة ديمقراطية دستورية، آملين في الحد من سلطة السلطان، وجعل الكلمة للشعب والاعتناء به وبمطالبه، وما يؤكد رغبة الشعب العثماني في التغيير أن أفكار مدحت لاقت تأييدا ودعمًا جماهيريا كبيرا .

حاول مدحت باشا إيجاد نظام برلماني يقوم على دستور مكتوب، فعندما باشرت الدولة العثمانية عملية الإصلاح ،كان مدحت وزيرا للعدل حيث حاول إعداد دستور في هذا الشأن و تأكيدا لهذا الطرح يقول هنري ايليوت : "إن مدحت باشا اخبرني بنيته في إيجاد دستور" حيث قال لي "أن الإمبراطورية على وشك الانهيار على هذا الأساس وجب علي أن أفكر في هذا الدستور بغية إنقاذ الإمبراطورية من الدمار و الانهيار"⁴

¹ نفسه.

² جلال يحيى ، المدخل إلى التاريخ العربي الحديث ، (د ط)، دار المعارف، مصر، 1965م، ص203.

³ منذر معاليقي، المرجع السابق، ص39.

⁴ احمد نوري النعيمي ، النظام السياسي في تركيا، ط1، دار زهران للنشر و التوزيع، عمان، 1432هـ، 2011م، ص34.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

ثم نودي بالسلطان عبد الحميد الثاني* إلى الحكم و ذلك يوم 31 أغسطس 1876م¹، وهذا خلفا لأخيه السلطان مراد الخامس، في ظروف سيئة للغاية ، إذ شهدت الإدارات التابعة للدولة العثمانية قيام العديد من الثورات التي أسفرت عن تعميم حدة التوتر بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية، ناهيك عن تردي الأوضاع المالية حيث أصبحت الخزينة تعاني العجز² والإفلاس.

في ظل هذا عمل السلطان عبد الحميد الثاني على إصلاح الشؤون الداخلية للدولة فنصب مدحت رئيسا للوزراء، وأصدر في 23 ديسمبر 1876م الدستور العثماني*، الذي وضع مسودته مدحت باشا الذي كان يؤمن كما ذكرنا بالمبادئ الحرة الدستورية ، و قد بدأت بالنمو و التفاعل في المجتمع العثماني من خلال عاملين اثنين :

1- نمو الوعي القومي

2- فساد الحكم المطلق³

* ينظر الملحق رقم: (03)

* عبد الحميد: ولد عبد الحميد الثاني في 21 ديسمبر 1848 والده السلطان عبد المجيد اعتلى عرش الدولة العثمانية أواخر عام 1876 عقب خلع أخيه الأكبر مراد الخامس و استمر في حكم الدولة العثمانية 33 عام ثم خلع من العرش 27 أبريل (نيسان) 1909 و أمضى بقية حياته في سلاطيك ثم إسطنبول إلى أن توفي في 10 فبراير 1918م . ينظر : عائشة عثمان أوغلو، و الداى سلطان عبد الحميد الثاني، تر: دكتور صالح صالح سعداوي ، ط1، دار البشير للنشر و التوزيع ، عمان 1411هـ/ 1991م ، ص11.

¹ سيار الجميل ، المرجع السابق، ص507.

² جورج انطونيوس ، يقظة العرب، تر: ناصر الدين الأسد و إحسان عباس، ط3، دار الملايين ، 1987م، ص128-129.

*الدستور العثماني: هو عبارة عن مجموع القوانين و الأحكام التي تعاقب على وضعها رجال الدولة حتى استجمعت الكلي و الجزئي من حقوق الحاكم و المحكوم و رتبت أصول المحاكمات و فصلت قواعد القضاء ووفيت لجميع ما يضمن إجراء العدل، حفظ الأمن و بسط الحرية ثم كان من جملة أجزائه القانون الأساسي الذي ظل دعاة الإصلاح يطالبون بإنقاذه ثلاثين عاما أو يزيد . ينظر : سليمان البستاني، الدولة العثمانية قبل الدستور و بعده، (د ط) ،

هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، 2012م ، ص17.

³ سيار الجميل، المرجع السابق ، ص507.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

فكرة الدستور كانت قد ملكت الفئات الواعية في الإمبراطورية نفسها، فالحكم المطلق الذي كان سلاطين آل عثمان حتى القرن التاسع عشر يمارسونه و التصرف في شؤون الدولة هذا التصرف الحر كان ينبغي أن يوضع له حل، والدستور أي القيد اللطيف الذي يغل يد السلطان هو الذي ينقذ البلد من الحكم المطلق و يعين مسؤولية الحكام و يؤدي إلى مشاركة الشعب عن طريق نوابه في شؤون بلاده¹.

- **ظروف إصدار دستور 1878م:** وهي جملة من الملاحظات والأسباب دفعت بالسلطان عبد الحميد الثاني (من 1876م إلى 1909م) على إصدار هذا الدستور و كانت كمايلي:

1- الأزمة المالية المستحكمة، فالخزانة العامة أصبحت خاوية و الميزانية مختلة تعاني من العجز، مما دفع الدولة إلى إعلان إفلاسها و ماترتب عن ذلك من سخط عام لدى المواطنين².

2- تعرض السلطان عبد الحميد لضغوطات فأضطر لإعلان الدستور، وهذه الضغوطات مارسها عليه الماسون بقيادة مدحت باشا³

3- اشتعال الحركة الوطنية في الصرب و بلغاريا، والتى وقع مذابح⁴، فقد كانت بلاد البلقان في اختلال وهيجان وذلك بسبب قيام الهرسك و الصرب و الجبل الأسود بثورة و تذرهم و مطالبتهم بالاستقلال حيث تمسك كل منهم بقوميته و آدابه ولغته، و في ظل هذا كله كانت أوروبا تمارس الضغط على الدولة العلية، و تطالبها

¹ أرنست أ - رامزور ، تركيا الفتاة و ثورة 1908م، تر: صالح احمد العلي، (د ط) ، مؤسسة فونكلين المساهمة للطباعة و النشر ، بيروت ، نيويورك ، 1960م، ص 9-10.

² السيد محمد الدقن، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية ، (د ط)، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ و الحضارة، القاهرة ، (د ت)، ص 11.

³ علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني و فكرة الجامعة الإسلامية أسباب زوال الخلافة العثمانية، (د ط)، المكتبة العصرية، بيروت، (د ت)، ص 18.

⁴ أرنست رامز، المرجع السابق، ص 42.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

بإجراء إصلاحات و العناية بالمسيحيين التابعين لها و حمايتهم من الظلم والتعسف¹

- 4- عقد مؤتمر الأستانة* في 2 ديسمبر 1876م، الذي يضم ممثلو الدول الكبرى لوضع المقترحات التي تكفل إصلاح الحكم في الدولة العثمانية.
- 5- تهديد روسيا بالتدخل العسكري ضد الدولة و ذلك دفاعا عن شعوب البلقان²

وقد أراد عبد الحميد الثاني أن يرد على ضغوط روسيا و الدول الأوروبية بمناورة سياسية فقام بعمل حملة دبلوماسية قبل يوم واحد من انعقاد هذا المؤتمر (مؤتمر الأستانة أو الترسانة) حيث قام بالموافقة في الثالث و العشرين من ديسمبر 1876م، الموافق لليوم الرابع عشر بعد المائة من اعتلاء العرش على العمل بالمشروطة³.

و مما زاد من اندفاع السلطان لخطط الإصلاح الدستورية الصدر الأعظم مدحت باشا، الذي خلف محمد رشيد باشا في هذا المنصب، وقد كان هذا الصدر الأعظم من اشد

¹روجي الخالدي، الانقلاب العثماني و تركيا الفتاة ، اصدق تاريخ لأعظم انقلاب على الخلافة العثمانية، (د ط)، مؤسسة هنداي، القاهرة ، 2012م، ص30.

*مؤتمر الأستانة: عقد هذا المؤتمر في الأستانة العلية بتاريخ 1976/12/2م لأخذ التدابير اللازمة لتسكين البلاد وإصلاحها و كان المؤتمر مؤلفا من إحدى عشر مندوبا منهم اثنان من إنجلترا وهما سفيرها السير أليوت، و اللورد سالسيوري، و اثنان من فرنسا و اثنان من أستراليا "النمسا"، وواحد من روسيا وهو الجنرال أغناتيف وواحد من إيطاليا وواحد من ألمانيا و اثنان من الدولة العلية و هما صفوت و ادهم باشا، ينظر: نفسه، ص30.

²السيد محمد الدقن ، المرجع السابق، ص114.

*المشروطة: وهو مصطلح يقصد به الاشتراط على الحاكم لتحديد سلطانه، ينظر ، محمد الحرب، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار (1258هـ-1336هـ) (1846م-1918م) ، ط1، دار القلم للطباعة و النشر، دمشق، 1990م، ص94.

³مراد دومان، ذكريات السلطان عبد الحميد الثاني ، تر: أحمد عمر احمد ، ط1 ، دار النيل، القاهرة ، (دت) ، ص99.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

المتحمسين لخلق حياة دستورية ديمقراطية¹، فبعد مناقشات جرت في جو يسوده رد الفعل الوطني والإسلامي ضد حركة جامعة السلفية و التدخل الأوربي لصالح ثورة البلقان، كانت مسودته قد وضعت على يد لجنة من العلماء و الموظفين المدنيين اللذين رأسهم مدحت و حين قدم إلى عبد الحميد²، سمح بإعلانه وذلك بعد إجراء تعديلات على اللائحة التي جهزها مجلس الشورى، فصار نظام الحكم في الدولة العثمانية نظاما مقيدا، وأقر لأول مرة مجلس تشريعي يناط به سن القوانين في إطار التشريع العرفي³. و كان مدحت قد قام بدراسة لداستير فينا و لندن و باريس و بروكسل، قبل أن يقدم على وضع هذا الدستور، و نذكر هنا انه قد كان مقربا من دزرائيلي* و متأثرا بأفكاره التحررية و ميوله⁴ وقد تزامن تعيينه في منصب الصدارة مع افتتاح مؤتمر السفراء و عهد إليه بتهيئة القانون الأساسي (الدستور)، فأعلن عنه وسط مظاهر الاحتفال، في محاولة من السلطان لإقناع أعضاء المؤتمر بأن الدولة قادرة على الإصلاح دون تدخل خارجي⁵.

ويقول اينغلهايت أن هذا القانون جاء مقتبسا عن دساتير بلجيكا و إنجلترا، و قد صيغ في 119 مادة⁶ وضع من طرف مدحت باشا نفسه و ظهرت فيه طباعه المتحررة، و اعتقد مدحت في ضرورة الحد من سلطة السلطان المطلقة كأساس لكل إصلاح في الدولة، بل كضرورة من ضروريات بقائها في ذلك الوقت، و حاول مدحت أن يسوي في

¹وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط1، الدار الأهلية للنشر و التوزيع، عمان، 2003م، ص269.

²أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، بيروت، 1986م، ص233.

³أحمد آق كوندزو سعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة 303، سؤال و جواب: توضيح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، (د ط)، وقف البحوث العثمانية، القاهرة، 2008م، ص437.

*دزرائيلي(1804م-1881م): سياسي وكاتب بريطاني يهودي. جدد نشاط حزب المحافظين بأرائه السياسية و الاستعمارية رأس الوزارة البريطانية مرتين، اشترت في عهده إنجلترا أسهم مصر في قناة السويس. ينظر: عبد الحميد الثاني، مذكراته، تر: محمد حرب، ط2، دار القلم، دمشق، (د ت)، ص274.

⁴ماري ماليز باتريك، صفحات في تاريخ تركيا الاجتماعي و السياسي و الإسلامي سلاطين بني عثمان، ط1، مؤسسة عز الدين للنشر و التوزيع، بيروت، 1986م، ص152.

⁵أحمد طربين، تاريخ المشرق العربي المعاصر، (د ط)، جامعة دمشق، دمشق، (د ت)، ص273.

⁶وجيه الكوثرائي، التنظيمات العثمانية و الدستور: بواكير الفكر الدستوري نسا و تطبيقا و مفهوما، (د ط)، المركز العربي للأبحاث و الدراسات السياسية، مجلة تبين، ع 3، مارس، 2013م، ص4.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

المعاملة بين كل الأجناس المختلفة في الدولة كأساس لتأييد الحكومة الدستورية الجديدة بالقوة الشعبية¹

و من جهة أخرى يرى أحمد عبد الرحيم مصطفى أن دستور 1876م لم يكن نسخة طبق الأصل عن الدساتير الغربية كما ذهب إليه البعض وقت إعلانه، بل هو امتداد للتجارب والممارسات السابقة².

نعلم أن الرغبة في الإصلاح و إيجاد دولة عثمانية قائمة على أسس نظامية ترجع إلى عقود ماضية، وليست وليدة الحاضر أو وليدة عصر عبد الحميد فقط، بل منذ عهد السلطان احمد الثالث الذي بعث وفدا له إلى فرنسا ليقف على مظاهر المدنية هناك و خاصة العمران وصولا إلى الإصلاحات العثمانية في القرن 18 و خلال عهود خمسة سلاطين و التي كانت فاشلة و لم ترقى إلى المستوى المطلوب، إلى غاية بداية عهد عبد العزيز و الذي اصدر فيه التنظيمات الخيرية* ثم الدستور في 1876م ما يؤكد أن الرغبة في الإصلاح كانت مسبقة وليست مستمدة فقط من التجارب الأوروبية، ففي نفس الوقت لا يمكن أن نتجاهل فكرة تأثر مدحت بالمدنية الأوروبية بعد جولته الاستطلاعية في أوروبا، حيث إذ سعى إلى إيجاد ذلك التنظيم و التأطير في أركان الدولة العلية .

ويمكن تلخيص فحوى الدستور العثماني في جملة من النقاط التي نوجزها كآلاتي:

- العمل بالقانون العادي في المحاكم عوضا عن القانون الديني .
- اشتراك العناصر المسلمة و غير المسلمة في استعمال المدارس الأميرية في الملحقات
- اللامركزية في إدارة الولايات³.
- إلغاء الرقيق الأبيض، ومنع المتاجرة به مع إطلاق حرية المستعبدين .
- مساواة جميع العناصر المتشابهة للجيش من حيث التقدم و الترقية⁴.

¹جلال يحيى، المرجع السابق، ص205.

²أحمد عبد الرحيم مصطفى ، المرجع السابق ، ص233.

*التنظيمات الخيرية: هي حركة للإصلاح تهدف لترتيب القوانين و الأنظمة السياسية للدولة على أسس جديد في جميع الميادين و الاتجاهات ، ينظر: جميل موسى النجار، المرجع السابق، ص30.

³ماري ماليز باتريك، المرجع السابق ، ص101.

⁴ نفسه.

الفصل الأول :..... أهم إنجازات مدحت باشا في خدمة الدولة العثمانية

- حق السلطان في نفي الأشخاص الخطرين على امن الدولة: وردت في القسم الأخير من الدستور الذي اشرنا إليه المادة 113 وهي تخول الحق للحكومة العثمانية في إعلان الأحكام العسكرية عند حدوث أو توقع اضطرابات و تمنح السلطان دون غيره الحق في أن يطرد من الأراضي العثمانية الأشخاص الذين يعتبرون خطرا على أمنها بناءا على معلومات موثوق بها تجمعها إدارة الشرطة¹.
- إبقاء الدستور على نظام الملل العثماني ، فيما يخص تنظيم الشؤون الإدارية والمدنية، أما الشؤون الدينية فقد تركت لهم الحكومة حرية ممارسة شؤونهم الدينية تحت رئاسة الرئيس الديني لكل أتباع ديانة أو مذهب².
- كما جاء أيضا في الدستور مواد ترتبط بكيفية إدارة الولايات :
- إن إدارة الولايات تكون مؤسسة على قاعدة عدم التعلق كليا بمركز السلطنة وتفصيلات هذا النظام تعيين نظام مخصوص و تكون قواعده أوسع من القواعد الجارية لانتخاب مجلس الإدارة في الولايات و الأولوية والأفضية و انتخاب المجالس العمومية التي تجمع كل ستة في مركز الولاية، فأمر البلدية تدار في الأستانة العلية والولايات بمجالس بلدية منتخبة ، ووضع بعد ذلك تقرير لتنظيم المجالس البلدية وتبين خصوصيتها³.
- و بموجب دستور 1876م تم تشكيل مجلس نيابي، على غرار المجالس النيابية في البلدان الأوروبية مثل:فرنسا و بلجيكا،وقد جاء في هذا الدستور أن الإسلام هو دين الدولة ،و لكنه ضمن للناس في الوقت ذاته حرية الفكر و المعتقد محافظا على حقوق جميع الرعايا من المذاهب المختلفة ضمن إطار القانون و النظام⁴.
- تضمنت مواد الدستور بعض التعديلات التي فرضها السلطان على مدحت باشا ومن معه قبل إعلانها،ويرجع رضوخ مدحت لهذه الإجراءات إلى إن جزئية حق السلطان في

¹ عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ط3، دار النفائس، بيروت، 2013م، ص499.

² أمين الخوري القانون الأساسي ، (د ط) ، مطبعة الأدب، بيروت، (د ت) ، ص20.

³ أمين الخوري، المرجع السابق، ص20.

⁴ احمد نوري النعيمي ، المرجع السابق ، ص 41.

نفي المعارضين السياسيين و المضرين بالدولة ستؤدي إلى حمايته من الرجعيين وبهذا أصبح حق نفي المواطنين هو سلاح خطير وضعه الدستور في يد عبد الحميد، وأصبح بعد ذلك بمثابة سلاح يشهره في يد خصومه السياسيين و المعارضين له، وقد كان مدحت أول ضحايا هذا الإجراء الخطير.



الفصل الثاني



الفصل الثاني : تداعيات محاكمة مدحت باشا و آراء المؤرخين فيه.

- المبحث الأول: علاقة مدحت باشا بعزل السلطان عبد العزيز خان و مقتله 1876م.
- المبحث الثاني: تقييم تاريخي لشخصية مدحت باشا و أعماله.
- المبحث الثالث: محاكمة مدحت باشا ووفاته.

الفصل الثاني: تداعيات محاكمة مدحت باشا وآراء المؤرخين فيه.

المبحث الأول: علاقة مدحت بعزل السلطان عبد العزيز خان ومقتله في 1876م.

أ - أوضاع الدولة العلية في فترة حكم عبد العزيز:

إن السلطان عبد العزيز* هو شقيق السلطان عبد المجيد (1839-1861م)، الذي عرف بالإصلاح، وسعى أخوه إلى مواصلة عمله، فأصدر دساتير للولايات، وتشكلت مجالس تشريعية في بعض منها مثل تونس ومصر، ونشأت مجالس نيابية اقتبست من الأنظمة والقوانين الغربية، مع استمرار الشريعة، مما أدى إلى قيام ازدواجية في التشريع والمحاكم¹، وقد كان هذا السلطان ميالا للإصلاح، وتفقد ممالك الدولة العثمانية وإيالاتها وكذا زيارة الدول الأوروبية، وقد اتضحت صورة الدولة العثمانية أمامه فأراد السعي إلى صياغة إستراتيجية جديدة في التعامل مع القوى الدولية².

غير أن إصلاحاته فشلت بسبب ميله إلى التبذير و البذخ، إذ كان مولعا بالسفر إلى الخارج، و تشييد القصور الفخمة، واعتمد على القروض لتغطية نفقاته³، مما أدى إلى ظهور عجز في ميزانية الدولة، فاضطر إلى الاقتراض من بيوت المال في لندن وباريس، وقد بلغت الديون حوالي مائتي مليون جنيه إنجليزي، وقد كشفت الصحافة منذ أكتوبر

* ينظر الى الملحق رقم: (04)

* السلطان عبد العزيز: ولد عام 1245هـ و تبوأ كرسي الخلافة سنة 1277هـ و عمره اثنان و ثلاثون عاما، فوجه عنايته إلى إصلاح العدلية و البحرية و تعميم المعارف في سائر أنحاء السلطنة و في سنة 1284هـ الموافق ل 1867م سافر إلى أوروبا ليحضر المعرض الباريسي فاحتفلت به الدول العظمى في جميع الجهات التي مر بها، و اعد لجلالته ابهر الزينات، كونه أول سلطان عثماني طاف عواصم الإفرنج ليرى رقيهم العصري و يدخله إلى البلاد، ينظر : عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من نشأتهم إلى الآن، (د ط)، كلمات عربية للترجمة و النشر، القاهرة، (د ت)، ص 231.

¹ ميمونة حمزة المنصور، تاريخ الدولة العثمانية، (د ط)، دار حامد للنشر و التوزيع، الأردن، (د ت)، ص 119-120.

² وديع أبوزيدون، المرجع السابق، ص 262 .

³ ميمونة حمزة المنصور، المرجع السابق، ص 120.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

1875م عن هذا العجز، حيث تعذر على الدولة تسديد الأقساط المستحقة¹، وبدأت تظهر أيضا مؤسسات أوروبية تسعى للمزيد من الاستنزاف لموارد الدولة، مثل البنك العثماني الذي تأسس كشركة بريطانية فرنسية، لكن سوء الأحوال المالية أدى إلى إعلان إفلاس الخزينة فقامت مظاهرات و ثورات ضد السلطان²، وفي ظل هذه الظروف -أسعد باشا هو من كان يتولى الصدارة- تفاقم الوضع بسبب حدوث مناوشة على حدود الجبل الأسود تم إهمالها، هذا ما أدى إلى وقوع فتنة أو ثورة عامة، وقد كان أسعد باشا ذو نية حسنة غير أنه كان ضعيف الشخصية و الرأي، ساء التصرف و أظهر الضعف أما الدول فزادت الثورة سعيرا وتوسطت روسيا و النمسا و أقيل اسعد و خلفه نديم باشا سنة 1875م و لم يستطع هذا الأخير إخماد الثورة و بقيت تنتشر حتى بلغت حدود البلغار وأحسن البرنس ميلان صاحب الصرب بضعف الدولة العلية فتوجه نحو المطالبة بتحويل إمارته إلى مملكة ، وأخذ معدات الحرب وواتجه نحو الهرسك³، فرغم تعثر الحركة الساعية إلى توحيد شعوب البلقان و جهودهم ضد العثمانيين ، إلا أنها ساهمت بشكل كبير في انتشار موجة من الغضب ضد الحكم العثماني خصوصا في ولاية البوسنة و الهرسك، اللتين تقعان في أقصى غرب البلقان و التي شهدت أيضا بروز تيار سعى إلى تحقيق الوحدة مع سكان الصرب، تماشيا مع تيار الجامعة السلافية و الذي كان يهدف إلى التحرر من الحكم العثماني و النمساوي، وإيجاد نوع من التكامل أو الاتحاد بين الأسلاف مع نوع من الصلة مع روسيا التي تضم سلاف الشمال⁴.

ولما كانت النمسا قد اتجهت إلى منطقة البلقان بعد طردها من ألمانيا على يد روسيا فقط طمحت إلى ضم البوسنة و الهرسك، هذا من شأنه أن يعزز قدراتها الدفاعية على دلماشيا الواقعة على بحر الأدرياتيك ،و قد أدى كل ذلك إضافة إلى ثقل الضرائب

¹ محمود السيد، تاريخ الدولة العثمانية، (د ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002م، ص 139.

² ميمونة حمزة المنصور، المرجع السابق، ص 120.

³ جرجي زيدان، المرجع السابق، ص ص 283-287.

⁴ احمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 230.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

وسوء وسائل وطريقة تحصيلها ،إلى تشجيع سكان الولاياتين على الثورة على الحكم العثماني ،وذلك كان عام 1875م¹.

وفي الأخير نستنتج أن عامل الضرائب الذي كانت تفرضه الدولة العثمانية على إيالاتها من دول البلقان البوسنة و الهرسك و كذا بلغاريا ،قد كان عاملا حاسما في نشوب العديد من الثورات في هذه المناطق، فقد عمدت الدولة العلية إلى استعمال القوة والسلاح ما أثار سخط السكان، كما أدى إلى استياء العديد من الدول الأوروبية.

كما شهدت هذه الفترة أيضا كثرة تبديل الصدور العظام ،فلا يقيم الصدر منهم إلا بضعة أشهر،و ممن تتابوا الصدارة في ذلك العهد محمد رشدي باشا وأسعد باشا ،و لم يستطيعوا إصلاحا، ولم يرض بالحالة كما هي إلا محمود نديم باشا ،فتولى الصدارة والمالية في ضيق لا مثيل له²،هذا الأخير كان من الشخصيات المحافظة عمل على توثيق علاقاته بالسفير الروسي أغناتيف الذي كان من كبار أنصار الحركة السلافية، التي تبنتها روسيا بعد حرب القرم كوسيلة لزعامة سلاف البلقان و تحريرهم من الحكم العثماني توطئة لفرض النفوذ الروسي عليهم³.

وفي ظل هذه الظروف الصعبة ظهر في بيت مدحت باشا مجتمع العقلاء الأحرار، حيث كان مدحت في أثناء تلك الاضطرابات يفكر في وسيلة لإنقاذ الدولة ،و قد لقي سفير إنجلترا و أسر إليه رأيه في جعل الحكومة دستورية ،لأنها إذا ظلت سائرة على هذه الخطة ذهبت إلى الدمار لامحالة، فأجابه السفير جوابا مبهما لكنه شجعه على عادة رجال السياسة في مثل هذه الحال⁴، فاصطدم بالسلطان عبد العزيز و حاشيته و أعوانه: يرى مدحت أن لا أمل للحياة إلا بالشورى،ويرى عبد العزيز أن الشورى تسلبه سلطانه،

¹ احمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق ، ص230.

² جرجي زيدان،المرجع السابق،ص287.

³ احمد عبد الرحيم مصطفى ،المرجع السابق ، ص228.

⁴ جرجي زيدان، المرجع السابق،ص289 .

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

يرى مدحت أن الدستور لابد منه ،فهو يعيد للأمة حقها في الإشراف على الحكم ويضمن العدل و المساواة وبيعث الإخاء و يحمي الأمة من شهوات الأمراء و السلاطين...الخ ويرى عبد العزيز وحاشيته و كثير من رجال الدين و بعض رجال السياسة أن الحكم النيابي لا يصلح للدولة العثمانية لاختلاف العناصر فيها و عدم التجانس¹.

واشتد سخط بعض الجماعات على ممارسات السلطان الاستبدادية ،وازداد القلق بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية ،و إعلان إفلاس الحكومة العثمانية كما ذكرنا مسبقا، وهذا ما أدى إلى انتشار أفكار الدستور و البرلمان و العثمنة،وهي الأفكار التي روج لها مدحت باشا و غيره و جرت مناقشتها على الجرائد²، وفي 11 مايو 1876م نظم الطلاب مظاهرة أما الباب العالي مطالبين بعزل الصدر الأعظم و شيخ الإسلام في محاولة بائسة للاحتفاظ بمنصبه عزل الصدر الأعظم شيخ الإسلام ،إلا أن السلطان حاول تهدئة الموقف³، فعزل محمود نديم الصدر الأعظم و حسين أفندي شيخ الإسلام وعين بدل الأول محمد باشا رشدي المترجم و عين بدل الثاني حسن أفندي خير الله⁴، ويظهر أن لا أمل في الإصلاح مع وجود عبد العزيز، بل لا أمل حتى ولو اصدر لوائح الإصلاح وأوامر إنشاء القوانين للمحاكم والنظم للمدارس، فقد جربناه يقول مدحت فرأيناه يطأطي للعاصفة حتى تمر، فإذا مرت عاد لسيرته الأولى وحل ما عقد ونقض ما أبرم ،ولم يبق إلا أمر واحد وهو تهيئة النفوس لعزله ووضع الخطط المحكمة لإنزاله عن عرشه⁵.

وفي ربيع سنة 1876م ،كان مدحت قد جمع من الأتباع ما يكفي لتمكينه من خلع السلطان عبد العزيز،وقد قام العثمانيون الجدد في ذلك الزمن بدور ضئيل فيما كان في

¹ احمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث،المرجع السابق، ص36-37.

² إسماعيل أحمد ياغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث،(د ط)،مكتبة العبيكان ،(د م ن)،(د ت)، ص176.

³ ميمونة حمزة المنصور، المرجع السابق، ص120.

⁴ إبراهيم بك حليم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ط1، ديوان عموم الأوقاف،(دمن)، 1905م، ص210.

⁵ أحمد أمين، فيض خاطر،المرجع السابق، ص196-197 .

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

الحقيقة ثورة قصر ،خطتها مدحت باشا و ضابط أو ضابطان من ذوي الرتب العالية في الجيش¹. و نعدد في هذا الصدد قادة الانقلاب وهم: (سر عسكري) أي وزير الحربية عوني باشا*، الصدر الأعظم (أي رئيس الوزراء) رشدي باشا المعروف بالمترجم ، مدحت باشا ، وزير البحرية أحمد باشا وزير المدارس العسكرية سليمان باشا،وقائد حامية إسطنبول مصطفى سيفي باشا، هؤلاء قادوا الانقلاب و كان والي العهد الأمير مراد وكذلك شيخ الإسلام خير الله أفندي كان على علم بالانقلاب،وولي العهد يتهيأ للجلوس على العرش وشيخ الإسلام وضع فتوى خلع السلطان².

ب-كيف خلع السلطان عبد العزيز:

قبل الشروع في عملية الخلع أصدر شيخ الإسلام فتوى كما ذكرنا هذا هو نصها:

" إن كان زيد الذي هو أمير المؤمنين مختل الشعور، و ليس له إمام في الأمور السياسية وما برح ينفق الأموال الأميرية في مصارفه النفسانية في درجة لا طاقة للملك والملة على تحملها ،و قد أخل الأمور الدينية و الدنيوية وشوشها و خرب الملك و الملة وكان بقاؤه مضرا بها فهل يصح خلعه"

الجواب: يصح. كتبه الفقير خير الله³

¹ارنست رامزور، المرجع السابق،ص43 .

*حسين عوني باشا 1820-1876م: تخرج من الحربية عام 1848 م برتبة نقيب أركان حرب، عمل فترة مدرسا بالمدرسة الحربية، اعترك في حرب بالقرم عمل أيضا ناظرا بالمدرسة الحربية السلطانية كان قائد للجيش و عزل من هذا المنصب و نفي إلى إسطنبول عام 1871م عين صدرا أعظم و لكنه عزل بعد أربعة أشهر من توليه هذا المنصب، عين واليا على أزمير ثم بورصة ، اشترك في عزل السلطان عبد العزيز و تعيين مراد الخامس محله،و تم اغتياله من طرف الجركس حسنينظر: عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص274.

² اورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني حياته و أحداث عصره، ط4، بيوك جاملجة،إسطنبول، 2008 م ،ص39.

³محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية ،تحق:إحسان حقي،ط1، دار لنفائس،بيروت،1401هـ- 1981م،ص576.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

فلما حصل الوزراء على هذه الفتوى أسرعوا في تنفيذ قرارهم، و قام بتدبير ذلك عوني و رشدي و مدحت ،و اختلف مدحت و عوني في أسلوب الخلع ،فكان مدحت يرى أن تصادق الأمة على الخلع أولاً، أما عوني فكان يرى أن الخلع يجب أن يكون حالاً ،على العادة العسكرية في سائر أحكامها، فأشار مدحت أن يجتمع العلماء و أعيان إسطنبول في مسجد نور عثمانية يبدون أسف الأمة ،و يطلبون إبدال النظام الحالي ،وكادوا يعملون برأي مدحت لكن طراً أمر وجب الرجوع لرأي عوني¹،و ذلك أن امرأة من نساء يلدز أتت مدحت وأخبرته أن مؤامرتة كادت تتكشف للسلطان ،فخاف مدحت إذ لم يبادر إلى العمل، و تحقق قول المرأة لأن السلطان دعا عوني باشا إليه مرتين في ذلك النهار،و مع انه ادعى المرض فلم يقبل السلطان عذره، فافر الوزراء على المبادرة في تلك الليلة على خلعه²،و كان موقف مدحت باشا في تلك الليلة في منتهى الخطورة ،و لم يكن يملك حق إصدار الأوامر للجيش ولكنه أظهر منتهى الجرأة و الاقتحام،فقصد إدارة الحربية في منتصف الليل وحيدا لايقف معه صديق مبلل الجسم، فكانت ليلة يتدفق منها المطر غزيراً جداً ،و كان قد استعد لقصة يرويها و كلام يقوله ، ولكنه لا يدري هل يقبل الاقتراح الذي سيعرضه أو لا يقبل ،و كان في قبوله المجد و في رفضه الموت الأكيد³،ولكن مدحت قذف بالاقتراح في وجه القائد العام للجيش التركية،واستطاع استمالة بحذقه و ذكائه، أما الاقتراح الخطير فهو أن يأمر القائد العام للجيش التركية بالتأهب والوقوف في شكل مربع، بانتظار مجيء السلطان مع وزير الحربية ،وأن يخطب مدحت في الجنود و يوضح الأسباب التي دعت لاتخاذ الإجراءات الاستثنائية بمثل هذه السرعة، ثم يعلن عزل السلطان عبد العزيز⁴.

¹ جرجي زيدان،المرجع السابق، ص390 .

² نفسه.

³ ماري ماليز باتريك، ، المرجع السابق،ص89 .

⁴ نفسه.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

توجه كما ذكرنا وزير الحربية لإحضار السلطان، و قام بمحاصرة السراي السلطانية برا وبحرا بالجنود و ذلك يوم الاثنين الواقع في 6 جمادى الأولى من عام 1292هـ الموافق لـ 28 مارس 1876م ،و دون أن يعلم الجند شيئا عن سبب تحركاتهم هذه، و بعد أن تمت عملية الحصار استدعى السرعسكر حسين عوني باشا الأمير مراد الخامس*،بعد أن أيقظه من النوم في ساعة متأخرة من الليل ،فأصيب بنوبة من الخوف، ولكن سرعان ما هدأ و ركب العربة معهم و سلم بندقية لبسته طلقات و عند وصولهم اجلس عوني باشا مراد في الحجرة المخصصة لمبايعته ،و في الحال حضر الشريف عبد المطلب و غيره من أعيان الدولة وقاموا بمبايعته على الساعة الثالثة بعد منتصف الليل².

وفي نفس الوقت اتجه أسطول إلى سراي طولمة ، واجتمعت هناك العساكر وأحاطوا بالقصر و دخل على السلطان عبد العزيز من ابلغه بنبا عزله فاستخف بهذا الخبر،فأكد له العسكر و الجموع المحتشدة هذا الخبر فاستسلم و انزلوه من السراي³،ونقل رجال عوني باشا السلطان عبد العزيز إلى سراي (قصر)"طوب قابو" بعد خلعه في 7 جمادى 1292م الموافق لـ 30مايو 1876م، و نهب مقر إقامته "طولمة باعجة" ،وهنا وقع السلطان في هواجس القتل، وأسيئت معاملته فكتب إلى السلطان الجديد مذكرات تبعث على الحزن، في النفوس طالبا منه نقله إلى قصر جراغان ،فاستجاب ابن أخيه

*مراد الخامس: ولد في 22سبتمبر 1840م كان اسمه عند الولادة هو محمد مراد،وهو أمير تربية و رعاية فائقة من والده حكم الدولة العثمانية سنة 1876م و كان السلطان الذي حكم اقصر فترة في التاريخ العثماني ، تلقى مراد تعليما متميزا و شغل مواقع قيادية في المحافل الدولية توفي في 29 أغسطس 1904م. ينظر: صالح كولون، سلاطين الدولة العثمانية تحر: أجبر اشويوك، ط1، دار النيل لطباعة و النشر، القاهرة، 2014م، ص204-205.

¹ علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية و علاقاتها الخارجية، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 1423هـ 2002م، ص203.

² نفسه.

³ احمد أمين، فيض خاطر ،المرجع السابق، ص197.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

السلطان مراد الخامس ،و نقله إلى أجنحة من هذا القصر،قد خصصت لهذا الأخير وأهمل هناك إهمالا شديدا كالمتروك لانتظار الموت¹.

نستنتج هنا أن السلطان عبد العزيز قد كان دكتاتوريا إلى حد ما، فلطالما أظهر رفضه لمبدأ العمل بالشورى في الدولة و هذا بالرغم من انه عندما تولى مدحت الصدارة قد حاول مرارا إقناعه بأن يضع دستورا للدولة يكون مشتقا من النظم الغربية بل و ألح عليه في ذلك فما كان على السلطان إلا أن أصدر قرارا بعزله عن الوزارة و إبعاده، هذا بالإضافة إلى التدهور الذي مس كل الأصعدة في الدولة خاصة المالية منها ،ساهم بشكل أو بآخر في التعجيل بعزله و هذا ما حصل بالفعل بعد عودة مدحت من الأستانة.

ولى الثائرون مراد الخامس الذي كان على اتصال مع العثمانيين الشبان لعدة سنوات، بحيث انه بادر بعد توليه الحكم إلى استدعاء نامق كمال* من منفاه في قبرص،و كلفه رفقة ضياء بتولي سكرتاريته الخاصة، وكان السلطان مراد على جانب كبير من الثقافة التركية والغربية و كذا الذكاء.

¹ أحمد آق كوندزوسعيد أوزتورك،المرجع السابق،ص419 .

*نامق كمال: هو محمد نامق كمال بك ولد في الفضية سنة 1256م و قد تسلسل كمال بك من بيت عريق الحسب و النسب والده مصطفى عاصم، تعلم في مدرسة با يزيد و في سنة 1277هـ تولى تحرير جريدة تصوير أفكار كما ألف للتاريخ العثماني و كانت وفاته بعله الخناق الصدري فلم تمهله إلا عشرة أيام، وتوفي بعد ظهر الثامن من ربيع الأول سنة 1309هـ. ينظر إلى: جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق،ج2،(د ط) ، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012م، ص 111-107.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

كما أبدى اهتماما بالأدب و العلوم و الشؤون الأوروبية ،وكان يهوى الموسيقى ،كما كان يميل إلى الليبرالية و الدستور و إصلاح التعليم و طبعه بالعلمانية*،وجعله عاما بالنسبة إلى مواطني الدولة من كل الأديان¹.

وبالعودة إلى النقطة التي تخص خلع السلطان فإنها جاءت لعدة أسباب يمكن أن نعدد بعضها منها كالآتي:

1-خلاف السلطان عبد العزيز مع السر عسكر عوني باشا: لقد كان عوني هو صاحب فكرة خلع السلطان عبد العزيز، و هو الذي زج بمدحت باشا و بقية المشتركين في عملية الخلع ،بسبب الخصومة بينهما و هذا راجع إلى أن السلطان جرده ذات يوم من منصبه و نفاه إلى بلدة اسبرطة².

2-رفضه للذاتير الغربية برمتها ،و كذلك العادات الغربية عن البيئة الإسلامية وتمكنه من إصلاح أحوال الدولة العثمانية إلى درجة كبيرة و خاصة في المجال العسكري حيث قوى الجيش ،و استبدل الأسلحة القديمة بأخرى حديثة ،كما استورد ما يلزم من السلاح من أفضل مصانع السلاح في أوروبا، ووضع التنسيقات العسكرية على الطراز الحديث ،و سلح القلاع و الحصون بأضخم و أحدث المدافع ،كما عمل هذا السلطان على تشييد المعامل لصنع المدرعات و المراجل فعادت دار الصناعة "أزميت" إلى ماكنت عليه من مجد³.

*العلمانية: وهي بالإنجليزية Sécularisme وترجمتها الصحيحة اللادينية أو الدنيوية ، وهي دعوى إلى إقامة الحياة على غير الدين وتعني جانبها السياسي اللادينية في الحكم .وفي موسوعة المعارف هي حركة اجتماعية تتجه بالاهتمام بشؤون الأرضية بدلا عن الاهتمام بالأخروية ،وهي تعد جزءا من النزعة الإنسانية التي سادت خلال عصر النهضة وفي الأواسط العربية جرت الترجمة العلمانية بكسر العين في إشارة إلى أنها داعية إلى العلم. ينظر: احمد سعدي، العلمانية مفهومها ونشأتها، آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية، والدراسات الثقافية، السنة العشرون، ع2، الخريف والشتاء 1438هـ، ص49.

¹ أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص232.

² عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص89.

³ علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط ،ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بور سعيد ،1421هـ-2001م، ص393.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

3-دعم كل من إنجلترا و فرنسا لفكرة عزل السلطان عبد العزيز: فرنسا بسبب تحول سياسة السلطان عبد العزيز اتجاهها، وذلك بعد هزيمتها في معركة سيدان* 1870م ووقوع نابليون في الأسر، إذ أحس السلطان أن فرنسا لم تعد الدولة القوية (لاماليا ولا عسكريا) التي يمكن الاعتماد عليها، أما بالنسبة لإنجلترا فبسبب اهتمام السلطان باليمن و كذلك اهتمامه بباب المندب ،الذي هو المفتاح الجنوبي لخليج السويس وهذا ما أثار مخاوف إنجلترا ،و قلقها فالدولة العثمانية أصبحت تقوي مركزها على ضفتي القناة¹ ،وكذلك خليج باب المندب و هذه المحاولة كانت تعني للسلطان الشيء الكثير فإعادة فتح اليمن تم بشكل نهائي في زمنه، و قسمت لأول مرة إلى مناطق إدارية وأصبحت الضرائب تجبى بشكل منتظم².

4-قيام السلطان بتأسيس مجلة الأحكام العدلية، إذ كان يسعى إلى تطبيق الحق، لهذا نجده قام بمحاكمة بعض الشخصيات أمثال: "عاكف باشا" و "طاهر باشا" وأصبح الناس على دراية بعدله ،و هذا الأمر لا تحبذه الدول الأوروبية و لا تقبل به فهي تريد أن يعم الظلم حتى تنهار الدولة بسرعة³.

5-دسائس الدول الأجنبية التي وجدت تأييدا عند بعض العلماء ،بما كانوا يأملون وما يخالج صدورهم من عدم الميل لهذا السلطان، بسبب خروجه من و معارضته

* معركة سيدان 1871: كانت في 1 سبتمبر 1870م، أصفرت عن القاء القبض عن الامبراطور نابليون الثالث، وكان الألمان قد هزموا الفرنسيين في عدة معارك وتعد هذه المعركة هي الحد الفاصل ،فقد حضر بسمارك لهذه الحرب مع قائد جيشه حيث قسم الجيش إلى ثلاثة أقسام عبر ثلاثة محاور، واتجه الجيش بقيادة ماكماهون ونابليون لرفع الحصار على متيز و متيجة للأخطاء العسكرية اضطر نابليون للتراجع الى سيدان وهناك حوصر من طرف الجيش الالمانى واستسلم ينظر: نجاة سليم محمود محاسيس، معجم المعارك التاريخية ، ط1، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان ، 2011م، ص295.

¹ أورخان محمد علي، المرجع السابق، ص44 .

² نفسه.

³ علي محمد محمد الصلابي ،الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، المرجع السابق، ص393.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

بعض العوائد المألوفة لديهم ،مثل خروجه من ممالكه و زيارة معرض باريس وحضوره المراقص¹.

يتضح لنا من خلال سرد أسباب عزل السلطان عبد العزيز، أن جذور فكرة عزله تعود إلى تخطيط مسبق، درسه قادة من داخل الدولة العثمانية أمثال مدحت باشا و عوني باشا وغيرهم من أركان الدولة العلية، هذا التخطيط لاقى دعما و تأييدا من طرف الدول الأجنبية خاصة إنجلترا و فرنسا، حيث نجد أن الدول الأوروبية قد سوقت و روجت لفكرة تبذير وإسراف السلطان عبد العزيز لتتمكن من النيل منه و تنحيته عن الحكم ،ومرد ذلك إلى تخوف الدولة الأوروبية من التقارب الحاصل بين عبد العزيز و روسيا ،حيث كثرت في تلك الفترة الاجتماعات بين هذا السلطان و سفير روسيا أغنايف بدعم من الصدر الأعظم نديم باشا ،فتخوفت هذه الدول من حدوث اتحاد بين الطرفين مما يشكل تهديدا مباشرا لمصالحها.

ج-الجدل القائم حول وفاة عبد العزيز:

لقد اختلف المؤرخون في تحديد أسباب وفاة السلطان عبد العزيز، بين قائل انه كان يعاني من خلل دماغي نتيجة صدمة عزله ،هذا ما دفع به إلى قطع شرايين يده، ومنهم من يذهب إلى ابعد من ذلك إذ يؤكدون أن هذا السلطان لم ينتحر و إنما قتل من قبل أشخاص محددين ،فكيف لمنتحر أن يستطيع قطع شرايين يديه الاثنين؟ و بين هذا الرأي و ذاك سنعرض تفاصيل الحادثة من خلال سرد الرأيين.

-شاع لدى أرباب الغابات انه قد أصاب السلطان رحمه الله أمراض دماغية يوم خلعه فاضطربت أحواله و كان يتخيل أن البواخر الراسية في البوغاز تطلق النار على العدو فزاده ذلك قلقا ،فلم يستطع الرقاد في ليلة الأحد التالية لعزله فلما أصبح الصباح ذهب إلى الحمام كعادته ،ثم توجه إلى البستان ثم رجع إلى حجرته و صار يفتح الشبابيك والأبواب

¹ فريد بك المحامي،المرجع السابق،ص576.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

ثم يخرج إلى البستان من جديد ثم يعود ثم يخرج ثانياً، كأن الدنيا ضاقت أمامه برحبها¹، ثم حاول الخروج إلى شاطئ البحر، فرآه الضابط الذي كان يحرس الباب فقال له بلطف لا إذن لك بالخروج يا سيدي، فهدده بعصا كانت في يده ثم دخل. و يقال أن هذه الحادثة كانت سببا في ازدياد أعراض الجلل².

- وأخيرا طلب من خادمه الخصوصي فخري بك مقرضا ليقلم أظافره و يصلح لحيته، فتردد حيناً في إجابة طلبه. و اتفق بعد حين أن بعض الخادmates اشرفن على احد النوافذ المطلّة على المكان الذي كان عبد العزيز فيه فرأيناه جاثيا على كرسي و ظهره محول ورأسه مدلى على الباب فلم يستطعن فتحه، و ظنن سوءاً فأنبأن والدته فأمرت بخلع الباب فدخلوا فرأوا عبد العزيز ميتاً و قد نزف دم من جرحين في ذراعه، و رأوا المقرض بجانبه الأيسر و كأنه استخدمه بيميناه لقطع أوعية اليد اليسرى³.

- هذا الطرح أكدت عليه ماري ماليز باتريك في كتابها، حيث تقول انه قد اجتمع تسعة عشر طبيباً و قرروا بالإجماع بعد رؤية جثة السلطان انه انتحر و لم يقتل و مايزيدني يقيننا هو ماسمعتة من سفير بريطانيا العظمى في تركيا الذي قال لي: تحدثت ذات يوم مع السلطان عبد العزيز عن نابليون الثالث وتنازله عن العرش(قسراً) فتألم السلطان وقال " هل يقبل رجل في مكانة نابليون الثالث أن يعزل على هذه الصورة، و يبقى على قيد الحياة، رجل له نفسية كهذه لابد أن يكون قد انتحر و الله أعلم"⁴.

- و في الجهة المقابلة يؤيد عدد من المؤرخون المعاصرون للواقعة مثل : أحمد جودت باشا و محمود جلال الدين باشا، و أيضاً المؤرخون الذي جاؤوا بعدهم و كذا المنشورات الأوروبية الصادرة أيام وقوع الحادث، أن عبد العزيز الأول لم ينتحر بل قتل و الحاصل

¹ فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص 580 .

² نفسه.

³ جرجي زيدان، ج 1، المرجع السابق، ص 392 .

⁴ ماري ماليز باتريك، المرجع السابق، ص 93 .

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

أن العوبة الانجليز مدحت باشا و حسن عوني باشا الطامعين من ذوي الرغبات الجامحة،الذين وجدوا السلطان عبد العزيز الأول عثرة أمام طموحاتهم الغير مشروعة قتلوه بتحريض من الإنجليز¹

وقد جاء في الموسوعة العربية الميسرة في الصفحة 1183 في حديث عن السلطان عبد العزيز " و مات قتيلا في أغلب الظن بعد أيام قلائل من خلعه"²

و يقول عبد الحميد أني مقتنع الآن بأن عمي عبد العزيز لم يمت منتحرا بل مقتولا ،و يرد عبد الحميد في مذكراته على اتهامه بقتل مدحت باشا فيقول: بعد وفاته بعشر سنوات تقريبا نشرت في أوروبا رسالة باللغة التركية وردت فيها مجموعة من التفاصيل والأسماء المشتركة في قتله³،و يضيف عبد الحميد بالقول أن تقرير الطبيب مرن جدا و يمكن مناقشته بواسطة اكبر علماء الطب في العالم كيف يستطيع منتحر قطع شرايين ذراعيه الاثنين، لقد لفت هذا انتباه الأطباء في ذلك الوقت بل و تناوله الأدباء في كتبهم⁴.

د-حادثة حسن بك الجركسي:

حسن بك المذكور هو ابن إسماعيل بك احد أعيان الجراكسة المهاجرين من بلادهم بعد دخولها ضمن أملاك روسيا، و لما توفي السلطان عبد العزيز أراد حسين عوني باشا السر عسكري إبعاده عن الأستانة فألحقه بأحد الإيالات بمدينة بغداد، و أمره بالسفر على عجل فامتنع فحبس بحسب الأصول العسكرية ، ثم اظهر الرغبة في السفر و طلب إمهاله يومين لا غير للتأهب للسفر ، فأفرج عنه و في مساء يوم⁵ الخميس 23 جمادى الأولى 1293هـ الموافق ل15 يونيو1876م، تسلح بأربعة رفولفرات و خنجر

¹ احمد أق كوندزو سعيد أرتورك،المرجع السابق، ص 420.

² اورخان محمد علي، المرجع السابق، ص46 .

³موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني،(د ط)، مؤسسة صقر الخليج للطباعة و النشر، الكويت،(د ت)، ص64.

⁴ عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص88 .

⁵ فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص582.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

ماضو قصد منزل عوني باشا ففيل له انه في منزل مدحت¹ لعقد مجلس، فذهب حسن أفندي المذكور و لما وصل أراد الدخول على الوكلاء، منعه الحجاب فقال لهم أني مأمور بذلك و معي تلغراف سري مهم يتعلق بالجيش المحارب و ضروري أن أقابل السرعسكر فذهب احد الحجاب يستأذن فسار ورائه و دخلا معا ففي الحال اخرج مسدسات من جيبه بسرعة عجيبة² و قتل سرعسكر و راشد باشا ناظر الخارجية ووالي سوريا احمد أغا الخادم³ و خاطب الصدر الأعظم وهو في الحجرة الأخرى قائلا: "إنني أحتاج قيصر لي سلمه لي فاني لا أؤذيك بشيء" فلم يجبه، فلما يئس و لم يظهر له أحد جمع أبسطة القاعة و كراسيها و أوقد فيها النار فأدركه رجل من رجال مدحت اسمه أحمد أغا و طعنه في قفاه طعنة مميتة فأطلق عليه حسن النار فقتله ، قضى حسن في هذه المعركة نصف ساعة أجرى فيها مذبحة و اعترف انه إنما جاء لينتقم من عوني باشا و يأسف لمقتل رشيد وزير الخارجية فحكموا عليه بالإعدام فمات قبل تنفيذ الحكم⁴.

وأخيرا يمكن القول أن السلطان عبد العزيز أنهيت مسيرته على عرش الدولة العثمانية بفعل تواطأ الدول الأجنبية، التي روجت لادعاءات عنه هذه الادعاءات وجدت آذانا صاغية في الداخل حيث توجه مدحت و من معه أمثال عوني باشا لمباشرة العمل سرا و التخطيط لإبعاده عن الحكم و بالفعل كان لهم هذا و لقي بعدها بثلاثة أيام مصرعه، أما بخصوص الوفاة فقد اختلف المؤرخون في أسباب موته بين قائل أنه قد قتل و منهم من يقول انه انتحر، ويتجلى لنا من خلال العرض أن السلطان قد تم قتله و الدليل على ذلك أن السلطان قبل وفاته بيوم واحد بعث برسالة إلى السلطان الجديد مراد الخامس يطلب فيها بتغيير مكان إقامته و هذه الرسالة لا يكتبها إنسان يعاني اضطرابات عقلية إضافة إلى هذا أن نقل الجثة من الطابع العلوي من السراي إلى الأسفل ووضعه على

¹ فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص582.

² إبراهيم بك حليم، المرجع السابق، ص210.

³ روجي الخالدي، المرجع السابق، ص29 .

⁴ جرجي زيدان ، ج1، المرجع السابق، ص394.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

سجادة أمام الباب بحد ذاته شبهة تبعث على الريب، و قد هزت حادثة أخرى مسامع العثمانيين بعد قيام حسن بك بقتل عوني باشا و راشد باشا و أحمد أغا و غيرهم وعدت هذه الحادثة بمثابة انتقام لموت عبد العزيز .

المبحث الثاني : تقييم تاريخي لشخصية مدحت و أعماله

تمهيد:

أشتهر اسم مدحت باشا كثيرا في تاريخ تركيا الحديث،ذلك انه كان بطلا للحركة الدستورية التي شهدتها الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر، فهو الواضع القانوني لدستور العثماني 1886م و كانت له مكانته في الحياة الإصلاحية و التنظيمات الخيرية وعاش للفترة من 1822م- 1883م) ،و تتقف بالثقافة الأوروبية و كانت له قدراته الإدارية حيث أدار العديد من الأقاليم مثل الطونة ،نيش ...الخ ، وقد نصب واليا على بغداد و منح صلاحيات استثنائية حيث امتلك السلطتين العسكرية و المدنية و أطلق عليه اسم والي العراق ¹ كان محبا للإصلاح و باحثا عن سبل تحقيقه إذ يقول " إن حب الإصلاح قد اختلط بدمي فكان كالمرض المزمن لا يبرأ منه ² " غير أن المؤرخين والرحالة الغربيين منهم و العرب اختلفت آرائهم حول هذه الشخصية فمنهم من ثمن جهودها لخدمة الدولة العثمانية و منهم من انتقدها .

آراء الرحالة و المستشرقين العرب:

تذهب الرحالة آن بلنت في كتابها الحج إلى نجد، للحديث عن مدحت باشا كونها عايشة الفترة و قامت بجولة ميدانية لدمشق زارت فيها مدحت إذ تصف شخصه فتقول " ...لقد التقينا شخصا مبتذلا بل و متحدئا سخيفا و شخصا مغرورا بنفسه لم يسبق لنا أن إلتقينا به خارج أوروبا ... " و تضيف أيضا في نهاية حديثها " إستئذنا بالانصراف و لدينا

¹سيار الجميل،المرجع السابق،ص 422421.

² احمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث،المرجع السابق،ص 80 .

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

انطباع عن مدحت باشا مخالف تماما لما كان يدور في دواخلنا، لقد أدهشنا الرجل لكن هذا الاندهاش¹ لم يكن ناتج عن أي شكل من أشكال الحكمة الحق يقال: "إن الباشا المصلح الذي من هذا القبيل يحدث دمارا لتركيا يعادل الدمار الذي يحدثه الباشاوات التقليديون بعشرات المرات"²

-وتتطرق آن بلنت من جديد للموضوع في كتاب آخر لها بعنوان " قبائل بدو الفرات 1878م في حديث لها عن تأثير مدحت باشا بالثقافة الغربية ومحاولته استنساخها في الدولة العثمانية فتقول: "... إن مدحت باشا رجل نزيه يتلهف بإخلاص لخير بلده ومصلحة وطنه و لكن عيبه يكمن في كونه نصف متعلم و ينتمي إلى مدرسة سياسية تركية كانت تفكر في جعل تركيا على غرار الدول الأوروبية فألبستها ثوبا أوروبيا زائفا لا يتناسب مع واقع حالها".³

لقد كانت لإصلاحات مدحت في العراق أيضا حيزا كبيرا من الكتابات إذ يذكر لونكريك في كتابه أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث إنجازات مدحت و يقدم على انتقاده " لم تكن إعماله العديدة التي اضطلع بها خلال سنتي حكمه في العراق من آثار العجلة و الأغلاط الاقتصادية الناتجة عن جهل بعض الأمور و تناسيها لأنه كان في كثير من الأحيان كثير الثقة بكل ما يسمى تجديدا..."

إن كل ما جاء به لونكريك دليل على انه قد عايش فترة قريبة لفترة مدحت،و التي عكس من خلالها نظرة الغربيين في تحليل تطور الدولة العثمانية التي ترى أن كل ما هو مستحدث نابع من الغرب⁴.

¹ أن بلنت ، الحج إلى نجد ،تر:محمد حسن،ج1،ط1،المركز القومي للترجمة ،القاهرة،2007م ،ص53.

² نفسه ، ص55.

³ أن بلنت،قبائل بدو الفرات عام 1878م،تر:اسعد الفارس ونضال حضرمةعيوف،ط1،دار ملاح للطباعة والنشر،دمشق،(دت)،ص169.

⁴ ستيفن هيمسلي لونكريك ،المرجع السابق،ص 359-360 .

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

من المعروف أن نظرة الغرب بصفة عامة والمؤرخين بصفة خاصة في ذلك الوقت للدولة العثمانية كانت نظرة احتقار واستصغار ،إذ كانوا يقللون بشكل كبير من قيمة أي إصلاح يخص الدولة العثمانية باعتبارها منافسة لهم، فبغض النظر عن كون مدحت باشا قد أعجب بالغرب وحياتهم ولم يستطع تجسيد ما أعجب به في الدولة ،غير أن ما جاء به هذا الرجل كان نقطة تحول في المسار السياسي لدولة العثمانية ، فقد رسم خارطة الطريف التي جاء بعدها دستور 1909م.

-آراء المؤرخين العرب:

رأي آخر أكثر تحليل لانجازات مدحت في بغداد، وهو رأي وميض جمال نظمي الذي تناول بالدراسة و البحث الجذور السياسية و الفكرية و الاجتماعية للحركة القومية في العراق عكس من خلالها رؤيته التحليلية و كذا النقدية لواحد من أهم الولاة الذين حكموا العراق فشهدت فترته تحولا جذريا في المنطقة إذ يقول عنه " فقبل مجيء مدحت باشا لم يعرف العراق أي إصلاح يذكر، باستثناء عهد داوود باشا* و حتى جهود مدحت المخلصة كانت في أغلب الأحيان فاشلة و أدت إلى نتائج معاكسة لنواياه الطيبة"¹

تعكس هذه المقول بوضوح جهود مدحت التي بذلها خدمة للدولة العثمانية وإيالاتها خاصة العراق،و يشير في المقابل إلى جملة من الصعوبات التي واجهته ما جعل النتائج تكون غير فعالة في مجملها هذا ما يؤكد لنا أن جهود مدحت في العراق قد مهدت الطريق لتغيرات جديدة².

*داود باشا:هو من أهالي تفليس في جورجيا في عام 1967م واختطف من أهله في الثالثة عشر من عمره فجاء به احد النحاسين إلى بغداد وعرضه للبيع واشتراه احد وجهاء بغداد هو مصطفى بك الربيعي وتقلد منصب الدفتر دار أي مدير الأمور المالية تولى داود الحكم في بغداد في أواخر شباط 1817م ودام حكمه في العراق زهاء خمسة عشر عاما في 1844م.ينظر:علي الوردي ،لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر ،ج1،(د ط)،مكتبة الوراق ،(د م ن)،(د ت)،ص ص 130-132-257

¹وميض جمال عمر نظمي ،المرجع السابق ،ص34.

²نفسه ،ص40.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

و يذكر محمد حرب أيضا في كتابه " عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار انه من ابرز الصدور العظام الماسونيين* في عهد السلطان عبد الحميد هو مدحت باشا إذ يؤكد الدكتور حكمت طانيو عميد كلية الإلهيات في جامعة أنقرة، و هو مؤلف كتاب اليهود و الأتراك عبر التاريخ أن مدحت باشا يهودي الأصل و يحيل هذا المؤلف على مرجعه في هذا إلى كتاب يهود فرنسا تأليف ادوارد ودارمونت المطبوع عام 1889م في باريس في الصفحة 113 في المجلد الأول و نص الفقرة التي استشهد بها¹:

"إن مدحت باشا إنما هو ابن حاخام يهودي مجري وهو - أي مدحت باشا - رائد حركة التجديدات* المعروفة في الدولة التركية، و كان له فضل افتتاح مدارس تستند علىالمبادئ اليهودية"²، وهو ذات الطرح الذي أكده عبد الرحمن الدوسري، في كتابه الماسونية و اليهودية، إذ يرى أن مدحت قد تسلل إلى السلطة ،ووصل إلى أعلا المناصب في الدولة فهدف الماسون هو القضاء على الدولة العثمانية و يقول " روجت لمدحت الدعاية الماسونية* على انه بطل عظيم حامل لواء الإصلاح للدولة العثمانية، فوصل بذلك إلى أعلى رتب الباشاوية في سوريا و العراق ³.

وهذا مؤرخ آخر هو موفق بن المرجة في حديث له عن مدحت في كتاب صحوة الرجل المريض إذ يراه بعيدا كل البعد عن المشروطية و يتهمة بالاستبداد و هذا باعتراف

*الماسونية:وهي مجموعة من التعاليم الأخلاقية والمنظمات الأخوية السرية التي تمارس هذه التعاليم التي تضم البنائين الأحرار . ينظر:عبد الوهاب المسيري ،اليد الخفية :دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية ،ط2،دار الشرق ،القاهرة،1422هـ-2001م،ص116.

¹ محمد حرب ،السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار ،المرجع السابق ،ص 25.

*حركة التجديدات: وتعرف أيضا بالتنظيمات العثمانية هي إصلاحات تستوحي التجربة الأوروبية إلى حد بعيد وهدفها تغيير نظام الإمبراطورية العسكري والإداري وإرسائها على أسس فكرية وقانونية جديدة، أو هي إصلاح المجتمع وفق أنظمة سياسية تستوحي التجربة الأوروبية القائمة على الحرية والعدالة والمساواة بتجسيده في مجالس نيابية. ينظر: محمد كامل ظاهر، الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث، د ط، دار البيروني للطباعة والنشر، (د م ن)،(د ت) ، ص 92.

²محمد حرب، المرجع السابق ،ص25.

³عبد الرحمان الدوسري،اليهود و الماسونية،ط1،دار السنة للنشر والتوزيع،بيروت ،1414هـ-1994م،ص70.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

المقربين منه مستدلاً بقول احد أصدقائه الذين رافقوه منذ أن كان والياً على الطونة و أفنى عمره في إسطنبول بسبب حبه لمدحت،و قال أثناء بحثه لأحد المسائل المعروضة على مجلس إدارة ولاية بيروت أثناء ماكان نائباً على مركز بيروت " ... الباشا كان يريد الحرية لنفسه فقط ،وخلاف هذا كان الوالي مستبد المستبدين"¹ وأثر هذا الكلام تأثير سيئاً في احد الوالين بمدحت باشا دون أن يهدأ ولم يتمكن من ضبط زمام نفسه فظهر عليه الغضب، لاحظ رامز صديق مدحت ذلك و بعد انفضاض المجلس نادى على هذا الشخص،و قال له و هو ممسك بلحيته البيضاء: "انظر يا بني ليست متاعب الزمن وحدها التي شيبت هذه اللحية و لكن تعاونت معها الغربة التي قاسيتها بسبب مدحت ..."²

و قد جاء في كتاب الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية لصاحبه مصطفى حلمي جملة من الأخطاء التي وقع فيها مدحت و يقول: ارتكب مدحت باشا أخطاء قاتلة تمس الدولة و تقوض دعائمها في الداخل و الخارج ففي الداخل عين ولاة من الأقلية في ولايات الأغلبية فيها مسلمون و قرر قبول طلب من الاروام في المدرسة الحربية التي هي عماد الجيش و مثل هذه الأعمال تقوض الدولة من أساسها"³ فمدحت بفضل دسائسه و خيانتته مهد الطريق لنجاح 48 نائباً مسيحياً من مجموع 117 هم أعضاء مجلس المبعوثان .

(البرلمان)⁴،وقد اكتشف السلطان عبد الحميد أن سلوكياته تتنافى مع مبادئ الحرية التي يظهر بها أمام الناس إذ تدخل لدى السلطان طالباً إقالة ناظر المالية الذي عينه و مدحه و كان هذا الطلب يتنافى عما جاء في القانون الأساسي الذي تزعمه،إضافة إلى تطلعه

¹موفق بن المرجة،المرجع السابق،ص58.

²نفسه.

³مصطفى حلمي ،الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية ،النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة ،ط1، دار الكتاب العلمية ،بيروت،لبنان،2004م-1425هـ،ص73.

⁴عبد الله التل ،الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام ،(د ط)،المكتب الإسلامي ،بيروت ،(د ت)،ص83.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

للسلطة استثنائاً بتركيا الفتاة* و اشتراكه في تهريب السلطان مراد من القصر تمهيدا لعزل عبد الحميد و تنصيب مراد بدلا منه ¹.

كما يغوص علي الوردي هو الآخر في الموضوع، في كتابه لمحات اجتماعية من تاريخ العراق في جزئه الثاني مشير إلى انه عندما يتحول رجل التاريخ إلى أسطورة ينسى الناس أخطائه و يبالغون في ذكر حسناته و مناقبه، و هذا ما حدث فعلا في شأن مدحت باشا فقد صار في نظر الكثير من الكاتب و كأنه معصوم من الخطأ و كان أعماله كلها حسنة لم يصدر منها أي قبيح إطلاقاً² فيقول: " إن مدحت على الرغم ما تميز به من كفاءات و فضائل، كان يرتكب أخطاء كثيرة، من جراء ثقافته الناقصة و شدة شغفه بالحضارة الأوروبية و ظاهر انه كان ذا ولع مفرط بالتجديد و بتقليد الأوروبيين و كان يعتقد أن الأوروبيين هم المثل الأعلى الذي يجب أن يتقدي به كل من يريد إصلاح بلاده من الشرقيين"³.

نستنتج من خلال هذا الطرح، أن مدحت باشا بالفعل قد كان رجل إصلاح، إذ أنه أقدم على القيام بتغييرات جذرية في العرق على مختلف الأصعدة، واستطاع أن يحقق إنجازات فيها عجز الولاة العثمانيون على القيام بها قبله، غير أن ميول مدحت المفرط لما هو غربي أوقعه في الأغلاط، إذ لم يضع نصب عينيه خصائص المجتمع العثماني الإسلامي، إضافة إلى أن رغبته في الإصلاح كانت ناجمة عن دوافع مجهولة والأرجح أنها لم تكن في صالح الدولة العثمانية، بدليل أن مدحت قد كان متناقضا مع ذاته فمن

*تركيا الفتاة: هي جمعية تأسست في باريس وكان لها فروع في برلين وسيلانيك و استانبول ، وكانت برئاسة احمد رضا بك والذي فتن بأوروبا وبأفكار الثورة الفرنسية وكانت هذه الجمعية تدار بأيدي ماسونية العالمية. ينظر: سليمان بن صالح الخراشي، كيف سقطت الدولة العثمانية، (د ط)، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، 1420هـ، ص 22-23.

¹مصطفى حلمي، المرجع، السابق، ص 73.

²علي الوردي، ج 2، المرجع السابق، ص 235.

³علي الوردي، ج 2، المرجع السابق، ص 236.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

جهة يدعوا إلى الديمقراطية وتجسيد المبادئ الحرة ، ومن جهة يلجأ لأسلوب التلاعب ،ليضغط على السلطان عبد الحميد بالسلطة ليصدر الدستور .

المؤرخون و نظرتهم لعلاقة مدحت بالانجليز:

إن الخوض في دراسة علاقة مدحت بالانجليز،يقودنا لا محالة إلى كتابات المؤرخ محمد حرب و بتحديد كتاب مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني إذ يقول عبد الحميد " كنت أرى أن الصدر الأعظم أي مدحت باشا يؤيد الانجليز و يتعاون معهم سواء بدافع منماسونيته أو بدافع أسباب أخرى خاصة لم اعد احتمل فاستدنت إلى صلاحياتي في القانون الأساسي و عزلته عن الصدارة العظمى"¹.

فقد كان مدحت باشا على صلة بالإنجليز إما بطريقة مباشرة أو عن طريق عوني باشا -كان قائدا عسكريا-حيث علم السلطان عبد الحميد من سفيره من انجلترا انه قد اخذ من الانجليز أموالا ظهرت آثارها المؤكدة في الهدايا التي منحها عوني باشا لأصدقائه بعد عودته من أوروبا مسجلا أن عوني باشا هو صديق لمدحت باشا فإذا سار هذا الأخير في نفس الطريق فالدولة قد وقعت في الشرك، مضيفا²، إلا أن قرار عبد الحميد بعزل مدحت لم يثر الشعب إذ لم يفتح احد فمه بل هنئه الكثير من الوزراء بل نظم الشعراء القصائد في مدحه و قاموا بنشرها في الصحف³.

¹ عبد الحميد، المصدر السابق، ص 44.

²مصطفى حلمي، المرجع السابق، ص 74-75.

³ موفق بن المرجة، المرجع السابق، ص 62.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

ماعدا إنجلترا التي أقامت الدنيا و لم تقعدھا ،و قد كان السلطان يتوقع هذا الأمر¹ إذ يقول:

فمن الطبيعي و قد تعاون مدحت باشا مع الانجليز وأيدها أن تعاونه وتأييده ،كان الانجليز يعرفون أن الإصلاحات التي يوصون بها من شأنها أن تغرق الدولة العثمانية سريعا تماما مثلما اعلم أنا².

كما يؤكد أيضا يوسف حسين عمر في كتابه أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876م-1909م،على الخلاف القائم بين السلطان عبد الحميد و بين مدحت، بسبب علاقة مدحت بالإنجليز ،فيشير إلى التهم التي لحقت به إذ نسب له انه يسعى لفصل السلطة الدينية على السلطة الدنيوية ويدعوا للعلمانية*، كما أنه ناشد بالوصاية والانتداب الغربي على الشعوب العثمانية ،و عمل هو ومن معه من اليهود على تدبير خضوع الدولة العثمانية و سياستها للحكومات الغربية بحجة الإصلاح³، و حماية الرعايا غير المسلمين إذ يقول " أن مدحت من الأوائل الذين راو في الانجليز صديقا لهم ،حيث اعتقد ب صداقتها و أنها أفضل الدول معاملة للإسلام والمسلمين⁴.

¹ مصطفى حلمي،المرجع السابق،ص75.

²عبد الحميد ،المصدر السابق،ص44.

*العلمانية: يعرف معجم ويستر العلمانية بقوله: هي العقيدة التي ترى إبعاد الدين عن الدولة والتعليم والأخلاق وان تكون جميعها مستقلة وبعيدة عن تأثير الكنيسة والمؤسسات الدينية وان يرى الإنسان أن العقل هو مصدر خلاصه، لا الدين وبالتالي رفض كل الغيبيات وما وراء الطبيعة. ينظر: محمد علي البار، العلمانية جذورها وأصولها ، ط1، دار العلم، دمشق، 1429هـ-2008م، ص 11.

³يوسف حسين عمر، المرجع السابق، ص 26.

³نفسه،ص27.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

وفي الجهة المقابلة يبذل سعود السبعاني هذه الاتهامات حسب وصفه ،و كذا التقارير التي تصعد بتبعية مدحت باشا للإنجليز ، مؤكدا انه قد وقف في عديد من المرات ضد مصالح الانجليز،ورفض قبول طلباتهم هذا ما أثار غضبهم و ما يثبت هذا القول هو موقف مدحت باشا الحازم في حادثة الدروز* هذه الحادثة خير برهان على المبالغة في كيل الاتهامات الموجهة إليه لم تكن صحيحة جلها كان كيديا¹ فيقول:"حاول القنصل الانجليزي في سوريا مستميتا أن يثني مدحت عن شن هجوم عسكري على الدروز حلفاء الإنجليز و لكن مدحت رفض و بأشر بالهجوم"²، و ينفي مدحت باشا بدوره ميله للإنجليز و تعاطفه معهم فيقول في هذا الصدد في مذكراته:"و كانت الدسائس تدس ليل نهار وجرائد فرنسا تساعد أعدائي على نشر الأراجيف(الأكاذيب)،و صادف ذلك أن موسيو قنصل إنجلترا قد حضر إلى سوريا بقصد السياحة فاتخذ أعدائي حضوره فرصة بنوايعها الأراجيف و امتعض الفرنسيون و عزمت إذ ذاك على تقديم استعفائي مرة ثانية، و لكن حدوث مسألة الدروز قد اضطرني إلى التأخير"³.

في الأخير نستنتج أن مدحت باشا قد كان متعاوناً فعلاً مع الإنجليز ،ودليل ذلك دعم إنجلترا لمشاريعه الإصلاحية ،إضافة وقيامها بالاحتجاج على قرار محكمة يلدز القاضي بإعدام مدحت حيث تقدمت بطلب تخفيف الحكم ،وكانت من أشد المعارضين لهذا القرار،وهذا ما يؤكد على أن مدحت قد كان عوناً للإنجليز يساعدها على المحافظة على مصالحها ،فما دافع إنجلترا من وراء دعمها لمدحت إن لم يكن عميلاً لها.

* الدروز: هي من الطوائف الباطنية التي انشقت عن الإسماعيلية في عصرها العبيدي واتخذت لها مبادئ مخالفة في ظاهرها عن الإسماعيلية وإن كانت لم تخالفها في جوهرها ويقوم الدروز في بلاد الشام و لبنان وجنوب سوريا وهم من القبائل العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى وادي تيم في بلاد الشام واعتنقوا الإسلام هناك ،هرب إليهم محمد ابن إسماعيل الدرزي -أحد دعاة تأليه الحاكم بأمر الله- والذي يقوم عليه المذهب الدرزي فقام بدعوة لمذهبه هناك فالتفوا حوله واعتنقوا مذهبهم وانتسبوا إلى اسمه . ينظر: محمد احمد الخطيب ، الحركات الباطنية فغي العامل الإسلامي عقائدها وحكم إسلامها ، ط1، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع،(د م ن)، 1404هـ-1984م، ص 199-200.

¹ سعود عبد الرحمان السبعاني، صنائع الانجليز، ج 1 ، ط1 ، (د د ن) ، (د م ن) ، 2012م، ص 66.

² نفسه.

³ مدحت باشا، المصدر السابق، ص 40.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

رأي المؤرخين الغرب ممن ثمنوا جهود مدحت:

تحدث ماري ماليز باتريك الحائزة على درجة الدكتوراه في الفلسفة و الشريعة والأدب في كتابها سلاطين بني عثمان الخمسة عن الصدر الأعظم مدحت باشا الذي برز نجمه في الوقت الذي كان فيه رجال الدين هم اللذين بيدهم زمام الأمور فقد كانوا يتحكمون في شؤون الدولة كما يشاءون رافضين لكل أشكال الإصلاح فكان من الطبيعي أن يظهر (مصلح عظيم) كمدحت باشا، الذي كانت البلاد في أمس الحاجة إليه فقد اتصف بجملته من الخصال النبيلة¹، واستطاع أن يدخل إصلاحات لم يكن يحلم بها احد و تبرز ذلك بوضوح فتقول " ظهر مدحت باشا في الوقت الذي كانت الحركة الفكرية في تركيا على أتم نشاطها و كان الأتراك سكان المدن منهم أو سكان القرى و الأرياف ، لا يرغبون في غير التجديد و لا يطمحون لغير الإصلاح و مجارات الدول الأوروبية "².

- يتضح لنا هنا جليا أن تطلع المجتمع العثماني للتغيير و بحثه عن التجديد، قد ولد لديهم قابلية لمشاريع مدحت باشا المستوحاة من الدول الغربية، التي جسدها في المشاريع العثمانية

- مؤرخة أخرى تغوص في ثنايا حياة مدحت زو إنجازاته هي عزرا سمويل ساسون صاحبة كتاب مدحت باشا جمعية الاتحاد و الترقى ،إذ تتطرق للحديث عنه فتقول في مقدمتها "مدحت باشا أبي الدستور العثماني و المصلح العظيم صاحب الفضل الكبير الذي يجدر بالأمة العثمانية الكبيرة أن تعظم اسمه و تبجل ذكره "³.

- ومن خلال عرض مجموعة من الآراء للرحالة و المؤرخين و كذا المستشرقين الغربيين منهم و العرب يتبين لنا أن مدحت باشا كان رجل إصلاح بالفعل، غير أن جهوده في إصلاح العراق باءت بالفشل فاختلّفوا في تحديد أسباب ذلك. كما كان لشخصية مدحت

¹ ماري ماليز باتريك، المرجع السابق، ص 82.

² نفسه، ص 82-83.

³ عزرا سمويل ساسون، المرجع السابق، ص 02.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

وأصوله حيز كبير من الكتابات إذ تتفق معظمها على أن مدحت باشا قد كان شديد التأثير بالثقافة الغربية و نمط عيشهم،و سعى إلى تجسيد نمط عيشهم داخل الدولة العثمانية دون أن يأخذ بعين الاعتبار الخصائص التي ينفرد بها المجتمع العثماني المسلم دون غيره من المجتمعات الأوروبية الغربية،و ربما يكون انسياق مدحت وراء التجديد بقوة مفتعلا إذ أن أصوله اليهودية و ديانتة كما ورد في العديد من الكتابات هي التي تحركه فقد قام بمحاربة الدين الإسلامي ،ودليل ذلك إقدامه على تعيين ولاية مسيحيين في مناطق غالبيتها مسلمون ،فقد بحث عن إيجاد العنصر المسيحي في ثايا و أعمدة الدولة كالجيش مثلا، في إطار ما دعا إليه من مساواة، هذا كله بدافع ميوله لدينه تحت غطاء ما يعرف بنقل الحضارة والبحث عن التجديد ،في حين يؤكد جملة من المؤرخين أن شخصية مدحت كانت مصلحة بالدرجة الأولى،و ما يؤكد هذا الطرح ما وصلت إليه العراق خلال فترة ولايته إضافة إلى محاولة هذه الخصية بعث الأمن و الاستقرار في مجتمع متعطش إلى التجديد بإرساء الأسس الديمقراطية وإعلان دستور 1876م، كذلك مساهمته في التخلص من استبداد السلاطين و استبدالهم بآخرين،ومن خلال هذا يتضح أن مدحت باشا كان يتمتع بقوة خفية تدعمه لتنفيذ مخططاته، فكيف لصدر أعظم فقط في الدولة أن يتمكن من خلع السلاطين و تعيينهم ،وأن يقوم بإصلاحات جوهرية في الدولة إذ لم يكن مدعوما بقوى أخرى من خارجها.

المبحث الثالث: محاكمة مدحت باشا ووفاته:

١- المحاكمة:

ذكرنا مسبقاً أن السلطان عبد العزيز قد توفي بعد إصدار الأمر بعزله في غضون أربعة أيام، وقد حدث جدل كبير حول أسباب الوفاة فمنهم من أكد أن السلطان قد توفي بعد إصابته بمرض في رأسه أدى به للانتحار في حين أن هناك في المقابل من أكد أن وفاته كان وراءها مجموعة من الرجال الدولة على رأسهم مدحت باشا وحسين عوني وغيرهما، فبقتله سيأمنون شر انتقامه منهم لأنهم أقدموا على عزله من منصبه¹.

وقد سلم عبد الحميد بالطرح الأخير ففي 16-17 مارس 1881م، فبينما كان مدحت باشا في منزله فوجئ بحصار له من قبل الجنود، فتم إيقاض مدحت فارتدى ملابسه وخرج متجهاً إلى القنصلية الفرنسية لأن القنصلية الإنجليزية بعيدة عن منزله.

وقد كان مدحت باشا هو أول رجل دولة يلجأ إلى قنصلية بلاد أجنبية طلباً لنجدة، و بقي حتى الصباح هناك، وسلم نفسه ثم سيق مدحت باشا إلى إسطنبول وبالتحديد إلى قصر يلدر للمحاكمة بتهمة الاشتراك في قتل السلطان عبد العزيز² فبعد مضي خمس سنوات و ثلاثة وعشرين يوم على تلك الحادثة عقدت المحكمة أولى جلساتها في 27 جوان 1881م الموافق ل 29 رجب 1298هـ، فلطالما روج رجال الانقلاب بأن وفاة عبد العزيز كانت عبارة عن انتحار، غير أن هذا الادعاء لم يقنع الناس فالشكوك لازالت تحوم حول الحادثة خصوصاً أن الأدلة التي قدمها رجال الانقلاب لم تكن كافية ومقنعة فأصبح موت عبد العزيز حديث العام و الخاص، حيث أصبحوا يتكلمون بحرية أكبر بعد انقضاء مدة اللذين عاصروا الحادثة³ فقد زال الخوف منهم و من بطشهم، وفي ظل هذا كله كان

¹ علي حسون، المرجع السابق، ص 204.

² علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث عام (1876م-1914م)، ج3، (د ط)، دار الورق للنشر، (دت)، ص 18.

³ أورخان محمد علي، المرجع السابق، ص 133-134.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

السلطان يسمع هذه الأخبار وينتظر ظهور الحقيقة واتضحها، و أخيرا قام احدهم وهو محمود جلال الدين بك مؤلف كتاب مرآة الحقيقة بإرسال عريضة إلى السلطان انطوت على الأدلة التي تثبت أن عبد العزيز قد قتل و لم ينتحر وهذه الأدلة هي¹:

1-الرسالة التي توجه بها السلطان المعزول عبد العزيز إلى ابن أخيه مراد الخامس بعد توليه العرش مباشرة، تنفي التهمة التي الصقوها به كونه يعاني من الاضطرابات العقلية.

2-هل من المنطقي أن يجمع كافة الأطباء المختارين لتوقيع صك شهادة طبية مزورة دون أن يقدم احد فيهم على إبداء رأي مخالف بما فيهم الأطباء الأجانب إلا إذا كان الأمر مبيتا².

3-عندما وصل وزير الحربية حسين عوني باشا إلى مكان الحادثة،كان السلطان عبد العزيز لا يزال حيا و ينزف دما و لم يقدم عوني باشا على أي إجراء لمنع النزيف و إسعافه بل و أمر أن ينقل السلطان الجريح من القصر إلى مركز الشرطة،حيث توفي هناك و لا يوجد أي مبرر منطقي لعملية النقل.

4-جاء في شهادة الأئمة الذين قاموا بغسل السلطان أن هناك آثار على جثته تدل على مقاومته للقتلة،حيث لاحظوا أن اثنين من أسنانه مكسور إضافة إلى وجود بقعة زرقاء كبيرة تحت حلمته اليسرى³.

5-اتهمالمرحوم بأنه متعاون مع الروس و أن العدو الروسي جعل من السلطان وسيلة للتخلص من الذين يقفون في طريقه و يعيقون مصالحه، لكن الحقيقة أن عبد العزيز لم يكن متعاوناً لا مع الروس و لا مع غيرهم و دليل على ذلك أنه قام بتعيين مدحت واليا على الطونة بالرغم من معارضة الروس لهذا الأمر،أما عوني باشا فقد عين

¹ نفسه.

² علي حسون ، المرجع السابق، ص207 .

³أورخان محمد علي ، المرجع السابق ، ص137 .

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

فيمنصب قيادة الجيش بدلا عن عمر باشا ،فاستبد في منصبه أصدر الأمر بمحاكمته¹ ثم عفا عنه و تولى الصدارة بعد مدحت و بعد عودة نديم باشا إلى هذا المنصب هو العدو اللدود لمدحت توقعوا أن يكون السفير الروسي اغتاتيف وراء إبعادهم و إرجاع نديم للصدارة فخططوا لما تلى من أحداث². ومع بداية المحاكمة قدم لمدحت قائمة بأسماء المحامين المقترحين للدفاع عنه، فطلب محاميا نصرانيا لكن طلبه هذا قوبل بالرفض، فاختر شهدي أفندي و لكن سرعان ما رفضه و تولى هو مهمة الدفاع عن نفسه، كانت التهمة هي قيام المصارع أغا من اثنين من أعوانه بقتل عبدالعزيز و ذلك بإيعاز من مدحت باشا ،كما أتهم الداماد(الصهر) محمود جلال الدين باشا و الداماد نوري باشا، و قد اعترف المصارع مصطفى أغا بقيامه باغتيال السلطان عبد العزيز، شارحا الأمر حيث يقول:³ تلقيت أمرا بذلك من الداماد محمود جلال باشا و الداماد نوري باشا، لأنني كنت آنذاك في خدمة السلطان عبد العزيز و عندما سكنت الحركة ذلك اليوم هجمنا عليه و بطحنه على ظهره امسك فجري بك من ذراعه و قد صديقي الآخران على ركبته و على صدره و قمت أنا بقطع شرايين زنده بسكين كما قمت بجرح بعض المواضع في يده اليمنى⁴ و حكمت محكمة يلدز بقرارها في شعبان 1299هـ تموز 1881م على مدحت و محمود جلال باشا و نوري باشا وموظفين غيرهم بالإعدام⁵.

وقد أثار هذا الحكم ضجة كبيرة خاصة في أوروبا، حيث احتج مندوبو الدول الأوروبية على الحكم خاصة انجلترا التي كانت أكثرهم احتجاجا و دافعا عن رجلها،فاضطر السلطان عبد الحميد إلى التمهل في إصدار الحكم،و قد صادق من عرفوا بالنزاهة على

¹ علي حسون، المرجع السابق، ص 204 .

² نفسه، ص 204

³ أورخان محمد علي، المرجع السابق، ص 135 - 136.

⁴ نفسه، ص 136.

⁵ أحمد آق كونز و سعيد اوزتورك ، المرجع السابق، ص 445 .

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

قرار الإعدام أمثال المشير غازي عثمان، ومع ذلك فإن السلطان خفف حكم الإعدام إلى السجن المؤبد، وسيق المحكوم عليهم بسجن للطائف في رمضان 1299هـ-8 جويلية 1881م لقضاء مدة العقوبة¹.

وفي الأخير نستنتج أن مدحت باشا قد كان بالفعل من بين الموالين للغرب، بل وكان يدا للدول الأوربية تسييره في داخل الدولة لما يضمن الحفاظ على مصالحهم و ما يؤكد ذلك هو الاستياء الذي أبداه مندوبي الدول الأوربية في مقدمتها إنجلترا.

¹اورخان محمد علي، المرجع السابق، ص 139 .

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

ب-وفاته:

تمهيد:

لا تختلف قضية وفاة مدحت باشا عن نظيرتها التي راح ضحيتها السلطان عبد العزيز فكلاهما قضيتان شغلت الرأي العام في الدولة، وهذا راجع لكون الشخصين من كبار الشخصيات في الدولة و من ركانزها، بل ذهب البعض بالقول أن احد الجرائم كانت سببا لوقوع الثانية، فموت مدحت باشا كان و لا يزال محل جدل و اختلاف بين المؤرخين فهناك من يرى أن موته كان بأمر من السلطان عبد الحميد و تدبيره بدءا بنفيه ثم قتله، في حين أن هناك من يؤكد بأن وفاته قضاء و قدر بعد تعرضه لجرح في كتفه أدى إلى إصابته بمرض السرطان ثم موته و نستعرض فيما يلي آراء الطرفين:

إن أولى الكتب التي أوضحت أن مدحت قد قتل هي مذكراته، حيث أشار إلى رغبة عبد الحميد الجامحة في الفتك به، و ذلك رغم الوعود التي خدع بها أوروبا و تحقيقه لحكم الإعدام، فالسلطان كان يسعى إلى إحكام قبضته على الدولة العثمانية و السيطرة عليها، ولتحقيق ذلك لابد من التخلص من كل العقبات ،ومدحت واحد منها إذ يذكر مدحت في مذكراته عن محاولات عديدة قام بها السلطان ليتخلص منه حيث حاول تسميمه (وضع السم في الحليب) و في احد الليالي قامت¹ الحكومة بتكليف الجنود بوضع عارف أغا خادم مدحت، في حجرة منفردة عنه في الوقت الذي كان فيه علي بك نجل نامق باشا نائما مع الفقيد في حجرة واحدة فكسروا باب الحجرة في منتصف الليل واخرجوا منها علي بك ودخل الجناة على مدحت فخنقوه، ولم يقل رحمه الله كلمة واحدة بل ذكر لهم الرب و حذرهم ونصحهم قائلا (إن الجندي يحافظ على بصيرة الوطن و لا يرتكب الجنايات) وبعد وفاتهما وضع على قبر كل منهما حجرين كتب على الأول مدحت توفي في 26 نيسان و محمود في 2 مايو و هذا هو الكذب بعينه².

¹مدحت باشا، المصدر السابق، ص93.

²نفسه.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

و هذا ما أكد عليه أيضا جرجي زيدان في كتابه مشاهير الشرق إذ يؤكد على مدحت باشا قتل ويقول انه بتاريخ 26 افريل 1884م، كان مدحت راقدا في غرفته فدخل عليه بضعة رجال، فقبضوا عليه و على رفيقه الداماد محمود و قتلوهما خنقا و كتب بذلك خير الله أفندي حيث أشار إلى أسماء قتلة مدحت باشا وهم¹:

اليوزباشي إبراهيم الشركسي و الضابط الصغير نوري أصله من كوما، احمد جاويش والأنفار قنرجي إسماعيل البربري، و أحمد و محمد و كلاهما من كوتاهية و رجب وعثمان من قراحصار و إسماعيل البربري².

وقد أشاع الجناة أن مدحت مات بسبب الخراج (جرح أو ورم)، غير أن أحدا لم يندفع بإشاعتهم هذه،و ذلك أن صوت محمود باشا ليلة الجناية قد صم الآذن،و قد دفن الاثنين في الصباح،و قيل أن الجناة قد أصلحوا الأبواب التي حطموها تلك الليلة كما قاموا بنهب أغراض المرحومين و باعوه بعد عشرين يوم في السوق علنا³، و يؤكد احد أصدقاء مدحت وهو سعيد بك و الذي كان قد شاركه في مختلف محطات حياته من محن و جهاد و نكبات و نجاحات حتى أنه رافقه إلى سجن الطائف في آخر المطاف، يؤكد على أن مدحت عانى الكثير من المتاعب،حيث تعرض للجوع و التعذيب إلى أن انتهى الأمر بقتله،و روى سعيد هذه القصة وهو يبكي و قال انه كان شاهدا على قتله بأيدي ضابطين و سبعة من الجنود (الخونة) ،فقتلوه خنقا و قطعوا رأسه و أرسلوه في صندوق⁴ إلى يلدز كتبوا عليه انه يحتوي عاجا يابانيا و أدوات صناعية لجلالة السلطان،و قال أيضا بشكل مباشر أن عبد الحميد قتل مدحت و لكن لم يقتل روحه و تعاليمه،التي علمتنا كيفية تجنب الخطر و عدم الثقة بوعود من سماهم الطغاة⁵.

¹ جرجي زيدان ، ج1، المرجع السابق، ص407.

² نفسه، ص 408.

³ مدحت باشا،المصدر السابق، ص95.

⁴ جرجي زيدان، الانقلاب العثماني، (د ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2012م، ص143.

⁵ نفسه.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

و في الجهة المقابلة أكد أورخان في كتابة المعنون بالسلطان عبد الحميد الثاني و أحداث عصره، أن مدحت مكث في سجن الطائف ثلاث سنوات ،و في هذه الفترة ألقت العديد من القصص الخيالية حول محاولات اغتيالهم خلال دس السم في الحليب و تقديم رشوة والحقيقة أن مدحت قد توفي يوم 6-7 مارس 1984م في سجنه بسبب ورم خبيث في جنبه يحتمل أن يكون سرطاناً،و دليل على ذلك أن عبد الحميد خفف حكم الإعدام إلى النفي فمدحت لم يكن السياسي الوحيد الذي تعارضت آرائه مع آراء عبد الحميد وتوجهاته، فلو كان كذلك لأصدر عبد الحميد أيضاً قراراً بقتل المشير سليمان باشا ورديف باشا و غيرهم من المعارضين¹.

كما يؤكد السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته،انه بريء من دم مدحت باشا حيث يقول أن مسألة مقتل السلطان عبد العزيز لم تكن بيده بل بيد القضاء و لم يتدخل هو في شيء إلا في تخفيف الحكم من الإعدام إلى السجن المؤبد، فإذا كانت وفاته طبيعة فلا علاقة لي بذلك و يشير إلى براءته و يؤكد لها من خلال الوثائق التي نشرت بعد الحادثة بعشر سنوات باللغة التركية،فهذه الوثائق حملت أسماء قتلت مدحت لم يرد فيها اسمه و ليس فيهم احد ينتمي إلي، و في نهاية حديثه يقر عبد الحميد بأن مدحت باشا كان عدواً له لكن ماذا استفيد إذا وضعته في مناصب الشهداء².

و نستنتج من خلال عرض الرأيين المتناقضين حول مسألة وفاة مدحت انه قتل بتحريض من السلطان عبد الحميد، إذ انه في ذلك الوقت لاتوجد قوة أخرى تستطيع القيام بهذا الفعل غيره ،هذا ما أثبتته تقارير خير الله أفندي إضافة إلى أن العقل يقودنا إلى تأكيد هذا الأمر في ظل توفر الدافع لدى السلطان عبد الحميد،و المتمثل في الرغبة في لأخذ بالثأر لمقتل عمه إضافة،إلى أن مدحت لطالما كان شخصية تدعو إلى التحرر والحد من صلاحيات السلطان و أسرته أضف إلى هذا تخوف عبد الحميد من هروب

¹ أورخان محمد علي، المرجع السابق، ص140.

² عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص78-79.

الفصل الثاني:.....دور مدحت باشا في قضايا الدولة العثمانية

مدحت من السجن بمساعدة قوى خارجية كالإنجليز، هذا الأمر إذا حصل سيؤدي إلى سخط الحكومة و الشعب عليه هذا ما دفع بهالى قتله لإنهاء المسألة جذريا ،فمدحت خلال فترة مكوثه في السجن عانى الكثير من المتاعب و المؤامرات ،حيث تعرض للعديد من محاولات القتل ،وهذا ما ورد في مذكراته من جهة ،وشهادة السجناء بما سمعوه من ضجة وصراخ ليلة الحادثة من جهة أخرى.كل هذه أدلة تعزز الطرح القائل أن عبد الحميد قد حرض على قتل مدحت باشا.



خاتمة



خاتمة:

خلال تناولي لهذا الموضوع و دراسة مختلف جوانبه توقفت عند جملة من المحطات التاريخية في الدولة العثمانية ارتبطت بنشاطات مدحت باشا، ومن خلال عرضها توصلت لاستنتاجات عديدة منها :

1- قيام مدحت باشا بالعديد من الرحلات خارج الأستانة خاصة في أوروبا مكنه من الاطلاع على طرق تسيير هذه الدول لشؤون مواطنيها، كما عززت هذه الرحلات من انبهاره وإعجابه بإنجازات الحضارة الغربية إلى درجة دفعته إلى محاولة استنساخها في بلاده لاحقا.

2- تولي مدحت لمنصب الولاية في جملة من الإيالات العثمانية كولاية نيش وكذا واليته على الطونة إذ اظهر فيها من الكفاءة ما جعل السلاطين يسعون خلفه لتعيينه في مناصب حساسة للدولة كرئاسة مجلس شورى ثم توليته بغداد.

3- تولي مدحت باشا ولاية بغداد وهي في وضع جد سيئ وتمكنه من القيام بأعمال إصلاحية جذرية في مدة وجيزة يعكس مدى كفاءته في التسيير الإداري، فقد استطاع أن ينقل العراق إلى المدنية الحديثة.

4- كانت منطقة الخليج محل تنافس بين القوى الكبرى ونخص بالذكر بريطانيا والدولة العثمانية، هذه الأخير التي أقدمت على التجهيز لحملة عسكرية بقيادة مدحت باشا على منطقة الإحساء و نجد، و تمكنت من أن تحكم قبضتها عليها، هذا ما يؤكد أن مدحت لم يكن رجل دولة و سياسي فقط بل عسكري محنك أيضا.

5- إن الدستور العثماني الذي كان في 1876م قد ارتبط ظهوره باسم مدحت إذ اشرف على وضع مسودته و حرص على تنفيذه، و بتحليل مضمونه يتضح لنا مدى تأثير مدحت بالدول الغربية و رغبته في صبغ الدولة العثمانية بصبغة غربية.

6- من خلال الكشف عن دور مدحت باشا في خلع السلطان عبد العزيز ثم مراد الخامس الذي عينه ثم قام بخلعه و أيضا تعيينه للسلطان عبد الحميد الثاني يتضح لنا جلليا قوة شخصية مدحت باشا و نفوذه داخل السلطة العثمانية، كما يكشف عن حالة الضعف الذي آلت إليه الدولة مما جعل سلاطينها ألعبه في يد موظفيها إذ أصبح الأمر و النهي بيدهم.

7- يعد مدحت باشا من بين الشخصيات البارزة في الدولة العلية التي حازت على حيز كبير من الدراسة غير أن آراء المؤرخين و الرحالة و المستشرقين قد اختلفت في الحكم عليه و تقييم مجهوداته ونشاطاته،ذلك أن جزءا كبيرا من هاته الإنجازات كانت مخالفة لتقاليد المجتمع العثماني الإسلامي ومستمدة من أفكار و تقاليد غربية فكانت محل خلاف في تحديد هدفها ،هل كانت حبا في الدولة العثمانية و محاولة لإلحاقها بمناص الدول الغربية أم هي محاولة لخلعها من جذورها و تحويلها إلى دولة علمانية غربية.

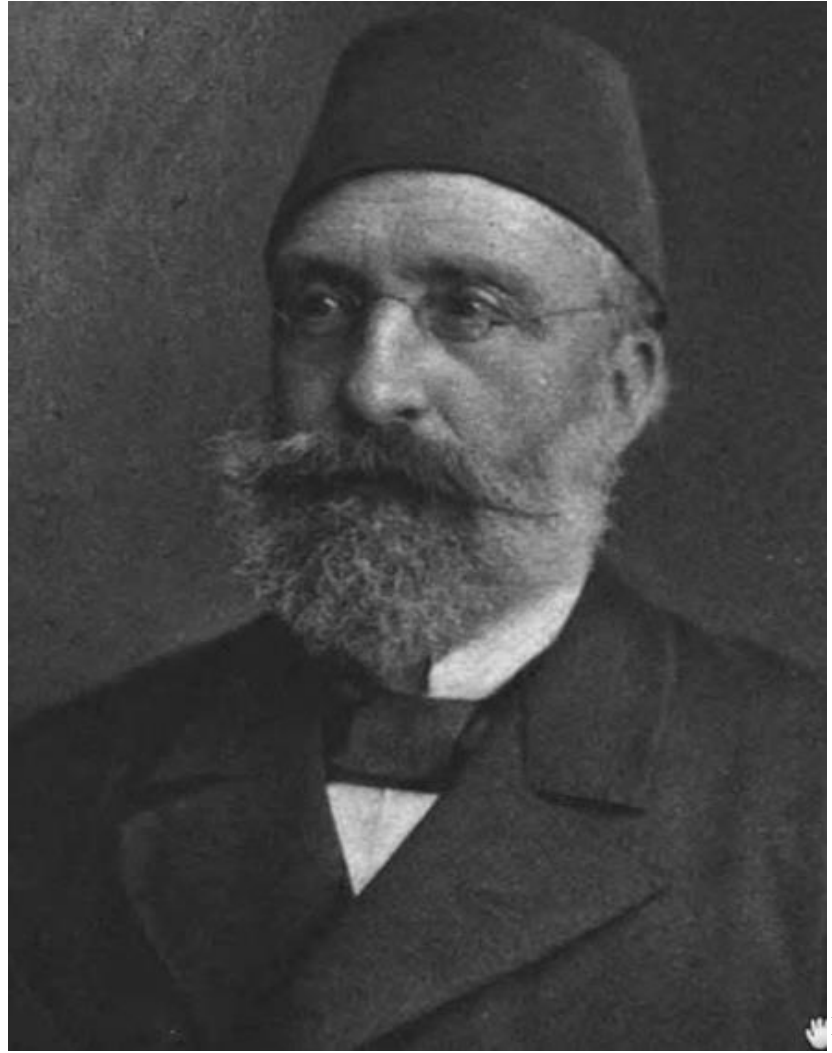
8- خضع مدحت باشا للمحاكمة بتهمة الضلوع في مقتل السلطان عبد العزيز بعد مناقشات أصدرت محاكمة يلدر قرارات بإعدام مدحت و خفف هذا الحكم للنفي المؤبد بضغط غربي،هذا الضغط الممارس من قبل الدول الغربية ودفاعها عن مدحت يؤكد على انه قد كان عميلا لها أو يعمل لصالحها فالدول الأوروبية لا تدافع عن شخص دون مصلحة، ومدحت لا يعدو كونه وسيلة في يدها لتمرير و انجاز مخططاتها.

وعموما و مما سبق التطرق إليه يمكن القول أن الجدل لا يزال متواصلا حول هذه الشخصية و البحث فيها يحتاج لتعمق أكثر فالآراء فيها متناقضة بتناقض إنجازاته وأعماله.



الملاحق





صورة ل: مدحت باشا.

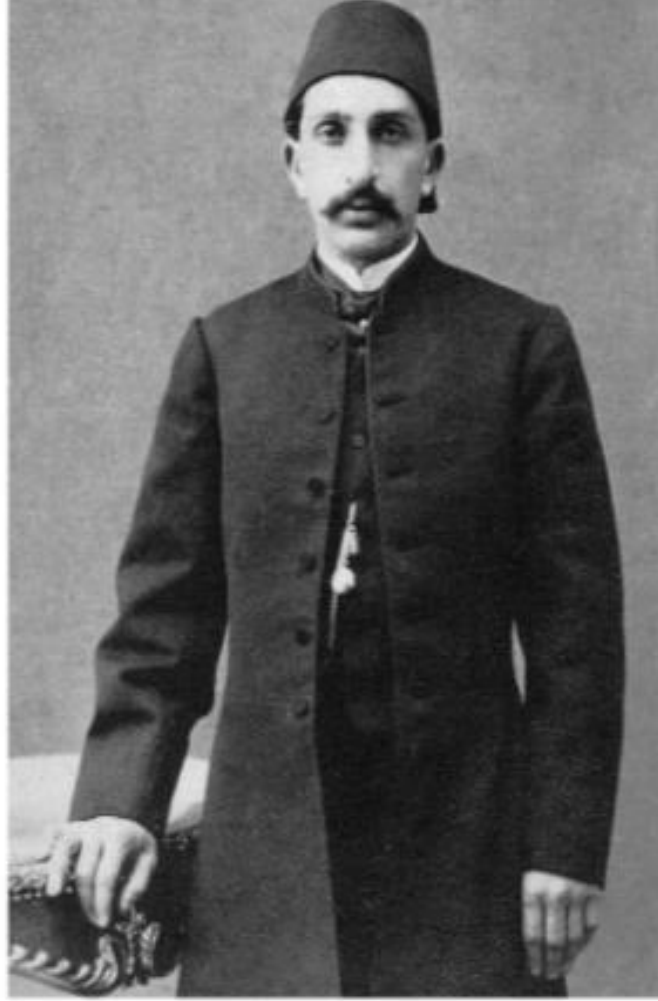
¹ جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج1، الممرجع السابق، ص 379.



1

صورة ل: محطة - سكة الترام- لنقل الركاب التي أدخلها مدحت في
بغداد عام 1869م.

¹ سعود السبعاني، المرجع السابق، ص 161.



صورة لـ: عبد الحميد الثاني

1

¹ سعود السبعاني، المرجع السابق، ص 99.



صورة ل: عبد العزيز خان.

¹ جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج1، المرجع السابق، ص388.



قائمة المصادر والمراجع



1-المصادر:

1. انطونيوس جورج، يقظة العرب، تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط8، دار الملايين، بيروت، 1987م.
2. أوغلو عائشة عثمان، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، تر: صالح سعداوي صالح، ط1، دار البشير للنشر و التوزيع، عمان، 1411هـ-1991م.
3. باتريك ماري ماليز، صفحات من تاريخ تركيا الاجتماعي و السياسي و الإسلامي سلاطين بني عثمان، ط1، مؤسسة عز الدين للنشر و التوزيع، بيروت، 1986م.
4. بلنت آن، الحج إلى نجد، ج1، تر: صبري محمد حسن، ط1، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2007م.
5. بلنت آن، قبائل بدو الفرات عام 1878م، تر: أسعد الفارس و نضال حضر عيوف، ط1، دار ملاح للطباعة و النشر، دمشق، (د ت).
6. ستيفن هيمسلي لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث تر، جعفر الخياط، ط 2، مكتبة النهضة العربية، (د م ن)، 1985م.
7. عبد الحميد الثاني، مذكراته، تر: محمد حرب، ط3، دار القلم ،دمشق، 1412هـ- 1991م.
8. المحامي فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، (د ط)، مؤسسة هنداوي للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2012م.
9. مدحت باشا ، مذكراته، تع:يوسف كمال بك حتاته، ط1، مطبعة هندية، القاهرة، (د ت).

2-المراجع:

1. أباضة فاروق عثمان، اثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر و عالم البحر الأبيض المتوسط أثناء القرن السادس عشر، ط2 ، دار المعارف، القاهرة ، (د ت).
2. أبو حاكمة احمد مصطفى، تاريخ الكويت الحديث(1163هـ-1385هـ)(1750م-1960م)، ط1، ذات السلاسل، الكويت ،1984م.
3. أبو زيدون وديع، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط1، دار الأهلية للنشر التوزيع، عمان،2003م.
4. أحمد أمين، فيض خاطر، ج6،(د ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2012م.
5. إسماعيل احمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث،(د ط)،مكتبة العبيكان،(د م ن)،(د ت).
6. أمين الخوري،القانون الأساسي،(د ط)، مطبعة الأدب، بيروت،(د ت).
7. اورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره، ط 4،بيوك جاملجة، إسطنبول ،2008م.
8. البار محمد علي، العلمانية جذورها و أصولها، ط1، دار القلم، دمشق ،1429هـ-2005م.
9. البستاني سليمان، الدولة لعثمانية قبل الدستور و بعده،(د ط)، هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة ،2012م.
10. بن المرجة موفق، صحة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني،(د ط)، مؤسسة صقر الخليج للطباعة و النشر،الكويت،(د ت).
11. التل عبد الله، الأفعى اليهودية في معازل الإسلام، (د ط)، المكتب الإسلامي، بيروت،(د ت).

قائمة المصادر والمراجع

12. جرجي زيدان، الانقلاب العثماني، (د ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2012م.
13. جمال عمر وميؤظ نظمي، الجذور السياسية والفكرية و الاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، سلسلة أطروحة الدكتوراه "5"، (د ط) ، مركز دراسات الوحدة العربية، بغداد، 1985م.
14. الجميل سيار، تكوين العرب الحديث، ط1، دار الشروق للنشر و التوزيع، رام الله، (د ت).
15. جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د ت).
16. جون غوردون لوريمر، دليل الخليج ، الجزء الجغرافي، ج2، (د ط)، مطابع علي بن علي، الدوحة ، (د ت).
17. جون غوردون لوريمر، دليل الخليج ، القسم الجغرافي، ج4، (د ط) ، مكتب صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، قطر، (د ت).
18. جون غوردون لوريمر، دليل الخليج القسم الجغرافي، ج5، (د ط) ، إعداد قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، مطابع علي بن علي، (د م ن)، (د ت).
19. جون غوردون لوريمر، دليل الخليج في القسم التاريخي، تر: قسم قطر بمكتب أمير قطر خليفة محمد آل الثاني، ج4، (د ط) ، مطابع علي بن علي، (د م ن)، (د ت).
20. حرب محمد، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، (1258هـ-1336هـ) (1846م-1918م)، ط1، دار القلم للطباعة و النشر، دمشق، 1990م.
21. الحسني عبد الرزاق السيد، العراق قديما و حديثا، ط3، مطبعة العرفان، صيدا، 1377هـ-1958م.

قائمة المصادر والمراجع

22. حسون علي، تاريخ الدولة العثمانية و علاقاتها الخارجية، ط4، المكتب الإسلامي للنشر والتوزيع ، بيروت، 1423هـ، 2002م.
23. حضرة عزتو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، (د ط)، كلمات عربية للترجمة و النشر، القاهرة ، (د ت).
24. حلمي مصطفى، الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية ، النكير على منكري النعمة من الدين و الخلافة والأمة، ط1، دار الكتاب العلمية ، بيروت، لبنان، 2004م.
25. حلیم بك إبراهيم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ط1، ديوان عموم الأوقاف، (د م ن)، 1906م.
26. الخالدي روجي، الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، اصدق تاريخ لأعظم انقلاب، (د ط)، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، 2012م.
27. الخراشي سليمان بن صالح، كيف سقطت الدولة العثمانية ، ط1، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، 1420هـ.
28. الخطيب محمد أحمد، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها و حكم الإسلام فيها، ط1، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، (د م ن)، 1404هـ-1984م.
29. الدقن محمد السيد، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، (د ط) ، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ، القاهرة، (د ت).
30. دكران ماري سركو، دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني، (1293-1325هـ/1876-1908م) ، ط1، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010م.
31. الدوسري عبد الرحمن، اليهود و الماسونية، ط1، دار السنة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، 1414هـ-1994م.
32. دومان مراد، ذكريات السلطان عبد الحميد الثاني، تر: أحمد عمر أحمد، ط1، دار النيل، القاهرة ، (د ت).

33. رامزور آرنست، تركيا الفتاة و ثورة 1908، تر: صالح احمد العلي، (د ط)، مؤسسة فونكلين المساهمة للطباعة و النشر، بيروت، نيويورك، 1960م.
34. روجان يوجين، العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، تر: محمد إبراهيم الجندي، ط1، كلمات عربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م.
35. السبعاني سعود عبد الرحمن، صنائع الانجليز، ج1، ط1، (د د ن)، (د م ن)، 2012م.
36. السلطان محمد عبد الله، دخول الملك عبد العزيز الإحساء أسبابه و نتائجه 1331هـ-1913م، (د ط)، إصدارات نادي الأدبي، الإحساء، 2010م.
37. السيد رجب حراز، الدولة العثمانية و شبه الجزيرة العربية (1840م-1909م)، (د ط) معهد البحوث و الدراسات العربية، القاهرة، 1970م.
38. السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية، (د ط) ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002م.
39. الشناوي عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ط3، دار النفائس، بيروت، 2013م.
40. الصباغ عبد اللطيف، تاريخ الدولة العثمانية ، (د ط)، (د د ن) ، (د م ن)، (د ت).
41. الصلابي علي محمد محمد ، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، ط1، دار التوزيع و النشر الإسلامية، بورسعيد، 1421هـ-2001م.
42. الصلابي علي محمد، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية و أسباب زوال الخلافة العثمانية، (د ط)، المكتبة العصرية، بيروت ، (د ت).
43. يوسف عز الدين، داو باشا و نهاية المماليك في العراق، (د ط)، منشورات دار البصري، 1386-1967م.
- 44.

قائمة المصادر والمراجع

45. طربين احمد، تاريخ المشرق العربي المعاصر، (د ط)، جامعة دمشق ، دمشق،(دت).
46. طقوش محمد سهيل، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام(647هـ- 923هـ)(1250م-1517م)، ط1، دار النفائس لطباعة والتوزيع، بيروت،1997م.
47. ظاهر محمد كامل، الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث ، (د ط)، دار البيروني للطباعة والنشر،(د ت).
48. عبوش احمد صالح، قادة الإصلاح في العالم عبر التاريخ ، ط1، دار الكتاب العلمية ، بيروت،(د ت).
49. عزرا سمويل ساسون،مدحت باشا وجمعية الإتحاد والترقي العثمانية ،(د ط) ، مطبعة جرجي غرزوزي،الإسكندرية ،1910م.
50. العلاف عبد الكريم، بغداد القديمة من عهد الوالي مدحت باشا إلى عهد الاحتلال البريطاني، ط2، الدار العربية للموسوعات، بيروت ،1999م.
51. عماد عبد السلام رؤوف، الأسر الحاكمة و رجال القضاء في العراق في العهود المتأخرة(1337-656هـ/1258-1918م)،(د ط) ، جامعة بغداد كلية التربية الأولى، بغداد، 1992م.
52. عمر يوسف حسين، أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني،1876- 1909، ط1، دار الكتاب الثقافي،(د م ن) ،2005م.
53. العيدوس محمد حسن، تاريخ الكويت الحديث و المعاصر، (د ط)، دار الكتاب الحديث، الكويت ،2002م.
54. فلاديمير لوتيسكي، تاريخ الأفطار العربية الحديثة،(د ط)، دار الفارابي، بيروت، (د ت).
55. القحطاني محمود عبد القادر، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر، ط1، مطابع رينود الحديثة للمجلس الوطني للثقافة و الفنون و التراث،(د م ن)،2008م.

56. كولون صالح، سلاطين الدولة العثمانية، تحر: أجير أشيوك، ط1، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2014م.
57. كوندير احمد و أوزتورك سعيد، الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال و جواب توضيح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، (د ط)، وقف البحوث العلمية، القاهرة، 2003م.
58. محمد علي مغربي، اعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة و بعض القرون الماضية، ج3، ط1، مطبعة المدني، القاهرة، 1990م.
59. المسيري عبد الوهاب، اليد الخفية: دراسة في الحركات اليهودية الهدامة السرية، ط2، دار الشروق ، القاهرة ، 1422هـ-2001م.
60. المسيلم محمد سعيد، ساحل الذهب الأسود: دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة الخليج العربي، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، (د ت).
61. مصطفى احمد عبد الرحيم، في أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق ، بيروت، 1986م.
62. معاليقي منذر، معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية، (د ط)، مر: ياسين الأيوبي، دار اقرأ، بيروت، (د ت).
63. منصور ميمونة حمزة، تاريخ الدولة العثمانية، (د ط) ، دار حامد للنشر و التوزيع، الأردن، (د ت).
64. مؤنس حسن، الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ط1، مطبعة حجازي ، القاهرة، 1935م.
65. نخلة محمد عرابي، تاريخ الإحصاء السياسي، (د ط) ، ذات السلاسل ، الكويت ، (د ت).
66. النعيمي أحمد نوري، النظام السياسي في تركيا، ط1، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان ، 1997م.

67. نوار عبد العزيز سليمان، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، (د ط)، دار الكاتب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، 1968م.
68. الوردي علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر، ج1، (د ط)، مكتبة الوراق، (د م ن)، (د ت).
69. الوردي علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث من سنة (1831م- 1872م)، ج2، (د ط)، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، 1971م.
70. الوردي علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث من عام 1876م- 1914م، ج3، (د ط) ، دار الورق للنشر، (د م ن)، (د ت).
71. يحيى جلال، المدخل إلى التاريخ العربي الحديث، (د ط)، دار المعارف ، مصر، 1965م.

3- المجلات:

1. الأسري كاظم حسن جاسم، مدحت باشا واليا لسوريا، 1878م-1880م ، مجلة جامعة كربلاء العلمية ، قسم التاريخ، مج5، ع2009، 2م.
2. سعدية سعيد البشي، وثيقتان عثمانيتان حول التنافس العثماني الإنجليزي على الساحل العربي للخليج العربي في أوائل القرن الرابع عشر أواخر القرن التاسع عشر، مجلة جامعة أم القرى، علوم الشريعة و الدراسات الإسلامية، ع52، مكة المكرمة، ربيع الآخر 1432هـ.
3. الشريف مخيف عبد الحسن، إقليم الإحساء: دراسة في أوضاعه الداخلية ، مجلة مركز بابل، ع1، حزيران 2011م.

قائمة المصادر والمراجع

4. الكوثراني وجيه، التنظيمات العثمانية و دستور بواكير الفكر الدستوري نصا و تطبيقا و مفهوما ، المركز العربي للأبحاث و الدراسات السياسات، مجلة تبين، ع3، مارس، 2013م.

5. محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية ، مجلة دراسات تاريخية ، قسم التاريخ، العدد 117، 118، جامعة دمشق، كانون الثاني، حزيران العام 2012م.

4- الموسوعات:

1. أحمد أمين، موسوعة زعماء الإصلاح في العصر الحديث، (د ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت).

2. الزبيدي مفيد، موسوعة التاريخ الإسلامي، (العصر العثماني)، (د ط)، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2004م.

3. الكيالي عبد الوهاب، موسوعة سياسية، تح: ماجد نعمة و جبروم شاهين ، ج3، (د ط)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د ت).

4. المحامي عباس العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين الإحتلالين العهد العثماني الثالث 1247هـ-1831م/1289هـ-1872م ، ج7، (د ط)، الدار العربية للموسوعات، (د م ن)، (د ت).

5. محمود شاكر، موسوعة تاريخ الخليج العربي، (د ط)، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، 2003م.

5- المذكرات:

1- الحبوبي أنور علي، دور المثقفين في ثورة العشرين، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، بغداد، صفر 1410هـ-1989م.

2-بعبو غنية ، التنظيمات العثمانية و أثارها على الولايات الغربية الشام و العراق نموذجا 1839م-1872م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2008-2009م.

المعاجم والتراجم:

1-جرجي زيدان ،تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج1، (د ط)،كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة،(د ت).

2-جرجي زيدان،تراجم مشاهير الشرق،ج2،(د ط)،كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة،(د ت).

3-خلاف حسان،عباس ،السباق المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية والمصطلحات الادراية والعسكرية والسياسية ولاقتصادية والاجتماعية والعالمية، ط1،دار العلم للملايين ،شارع مار اياس ، سبتمبر،1999م.

4-الزركلي خير الدين ،الأعلام،ج4،ط5، دار العلم للملايين،بيروت،مايو 1980م.

5-موستراس ،المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية التاريخية ، تر:عصام شحادات، ط1،دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت ، 2002م.

6-صابان سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،(د ط)، مكتبة فهد الوطنية،الرياض،2000م.

7- محاسيس نجاة سليم محمود،معجم المعارك التاريخية،دار زهران للنشر والتوزيع،عمان،2012م.

8-محمد نبهان يحي، معجم مصطلحات التاريخ،(د ط)، دار يافا العلمية، الأردن،2006م.